عبد المنعم رمضان



الحنين العاري

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الحنينُ العاري

رمضان، عبد المنعم.

الحنين العارى/ عبد المنعم رمضان. ـ القاهرة

: الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٢.

١٩٢ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك ٤ ٢٧٧ ٢٠٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الشعر العربى ـ تاريخ ـ العصر الحديث.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٠٨٥/ ٢٠١٢

I. S. B. N 978 - 977 - 207 -277 - 4

ديوى ٨١١,٩

عبد المنعم رمضان

الحنين العاري

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : الحنين العارى
تأليف : عبدالمنعم رمضان

الإشراف الفنى : مادلين أيوب فرج
تصميم الغلاف : نجاح طاهر

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
E-mail: info@gebo.gov.eg

بعد السقوط

ماذا أفعلُ إذا سقطتُ من سريري
ولم أجدْ الأرضَ
أعلم أنّني سأحاولُ
أنْ أسرقَ حبيبتي من ثوبِها الليليّ
سأحاولُ أنْ أضعَها على الكواكبِ
الزرقاءِ
وأنْ أهدهدَها
سأحاولُ أنْ أخلعَ عنها
كلَّ القبلاتِ القديمةِ
كلَّ الهمسِ
كلَّ المضاجعاتِ
ولمّا تستسلمُ
أخلعُ عنها ظلَّها
وأفردُه تحتَ جسْمي كسحابةٍ
من أجل أنْ أتحمّلَ هبوطي إلى أسفل

لكنّ الجزءَ الهائجَ

من حزني وعَرَقي ودُخاني

الجزءَ الهائجَ من أعماري الهاربةِ منّي

سيكونُ بِسَبَبِ الأشعارِ الّتي أفلتتْ

وأنا ألتهمُ شفتيها

سيكونُ بِسَببِ الأشباحِ الحائمةِ

مثل مروحَةٍ دوّارةٍ

سيكونُ بِسَببِ الفراشاتِ

والأحجارِ الغريبةِ

ربّما ، ربّما

سيكونُ بِسَببِ ساقيها المفتوحتينِ

هي الواقفةُ وظهرُها إلى الحائطِ

وأنا الجالسُ على ركبتيّ

الملمومُ مثل شجرةٍ

والطّالعُ بلسانهِ إلى فوّهةِ البئرِ

كانَ يمكنُ لسقوطي الطويلِ
أنْ يجعلني وحيداً
كانَ يمكنُ
أنْ يسرقَ منّي الجسورَ الّتي لم أعبرْهَا
والسواحلَ المليئةِ بالبخارِ
لولا أنّني خفتُ من التعميدِ والعزلةِ
لولا أنني انتهيتُ مع كلِّ أغنيةٍ
غنيّتُها
انتهيتُ معَ كلِّ قمرٍ تحتَ السحابِ
إلى ما يشبهُ التعميدَ والعزلةَ
فانكفأتُ على حنجرتي
واشتهيتُ ساقينِ عرفتُهما ذاتَ صباحٍ
عَرَفتُ أنّهما عاليتانِ
اشتهيتُ صعودَهما
علّني أرى ماتفعلهُ البئرُ

بالحشائشِ السوداءِ
لكم أحببتُ البئرَ
لكم أحببتُ الحشائشَ
أحسبُ أنني انحنيتُ فوقَها
بعدَ قليلٍ انحنيتُ أكثرَ
بعدَ قليلٍ آخرَ لعقتُها
حتّى أعطتني خلسةً مذاقَ القبلاتِ
كانت الزنابقُ لا تظهرُ إلّا في آخرِ حوضٍ
كانت الأزهارُ البريّةُ
كانت هوّةٌ عميقةٌ
تمتلئُ بالرياحِ القويةِ
ماذا أفعلُ إذا فقدتُ رغبتي
في العودةِ إلى سريري
ليست هذه الطريقةُ
هي الأكيدةُ لكي أجدَ الأرضَ

حتّى لو كانت الشمسُ تحتي
حتّى لو كنتُ سأموتُ
حتّى لو كنتُ سأصحُو
حتّى لو كانت النجومُ
تتلألأُ دونَ سماءٍ
حتّى لو كانت نافذةٌ ما مفتوحةٌ
ولا تطلُّ منها حبيبتي
الليلُ مظلمٌ
مثلما كانَ مظلماً أمس
وأوّلَ أمس
الصباحُ كعادتِهِ
مكسورُ العينينِ
والظّهيرةُ واقفةٌ على جبلٍ بعيدٍ
وطيورٌ كثيرةٌ
تتهامسُ

وتنفرُ سلّةَ الوقتِ
لماذا أتخيّلُ أنني أرى شفتي يابسةً
وجفوني سوداءَ
وأظافري مثلَ أفكاري العذبةِ
تطولُ ثمّ تتقصفُ
ولا أكادُ أفقدُها
قلبي وحده يدقُّ سريعاً
تلكَ الفراشةُ هي فراشتي
قلبي وحده يدقُّ عالياً
تلك الفراشةُ هي فراشتي
وأنا أتشبّثُ بأحلامِ حبيبتي
وإذا تمكّنتُ من النظرِ
بعيونٍ مغمضةٍ
سأنفردُ بأحدِها
وأحيطهُ بكلِّ جسمي

وأشقُّ جلدَه

وأنتظر إلى أنْ يخرج شخصٌ غيري

ويفاجئُني

كلُّ شيءٍ أكثرُ جمالاً من العراوة

ألمسُ فخِذَيْها النائمتين

وأسألُها عن الشبحِ الخارجِ من الحلم

فتقولُ : هو أنتَ

أتعثّرُ في نفسي

وأبحثُ عن آنيتي ومائي

أبحثُ عن عزيمتي

أبحثُ عن البرقوق

الذي تخفيهِ حبيبتي تحتَ شفتيها

أبحثُ عن حبّاتِ المانجو

وإذا ضللتُ السبيلَ إلى النهدين

اهتديتُ بعطرِهما

لقد تزاحمتْ الأقمارُ
في طريقي إلى العطرِ
لقد تزاحمتْ أشجارُ النهارِ
وأشجارُ اللّيلِ
ولكنّني أتعثّرُ في نفسي
لماذا لا يزالُ السرُّ طويلاً
قدمايَ تدوسانِ على شيءٍ كالريحِ
فأفكّر كيف أمزجُ النورَ بالنورِ
قدمايَ تتسلّانِ من وراءِ
هذا الشعاعِ الأبيضِ
فأفكّرُ أين المرتفعاتُ
أين المنخفضاتُ
أين اللّهُ
وأين الجغرافيا
جسدي يكبرُ مثل حفيفِ الماندولين

مثل شهقاتِ الماندولين
جسدي يكبرُ مثل الماندولين ذاتهِ
فأفرُّ من رأسي
أرتطمُ بروحي المتوحّشةِ
أتركُها معزولةً على الطريقِ
وأتبعُ الحنينَ الذي يوقفني
قربَ الهاويةِ
الحنينَ الذي مثل كلِّ ليلةٍ
يمتدُّ ، يمتدُّ ، يمتدُّ
ويجتمعُ أسفلَ بطنِ الغزالةِ
فيما بينَ الفخذينِ
فيما بينهما
فيما تحتَ
وفيما فوقَ
وفيما في النّسيانِ

صوتُ العاصفةِ
هو الّذي يفحّشُ حبالي
صوتُ العاصفةِ
هو الذي يقودُني
نحو الصيحةِ الأخيرةِ
حيثُ أنا ساخنٌ وأبيضُ
حيثُ أنا مشدودٌ من خطمي
حيثُ أنا تائهٌ وذاهبٌ
أنتِ هنا ياحبيبتي
لا تبتعدي
نامي على جنبكِ الأيسرِ
لا تقولي : اليومَ لفمي
وغداً لجهاتي الأخرى
قولي
: اليومَ لكلِّ آنيتي وأباريقي

اليومَ لي

بعدَ العاصفةِ
سنعرفُ أين نجدُ الأرضَ
التي نبحثُ عنها
بعدَ العاصفةِ
سأمشي خلفَ رسومِ الكاتدرائياتِ
والمعابدِ
والكهوفِ
سأمشي خلفَ السفينةِ الراسيةِ
على ساحلينِ
سأمشي خلفَ نفسي
خلفَ أغنياتي وأغنياتِ سوايَ
لا تبتعدي
نامي على جنبكِ الأيسرِ
نامي على الجنبينِ

بعد العاصفةِ
سأمشي خلفَ صورتكِ المحفورةِ
بالفحمِ
والرذاذِ
والنومِ
المحفورةِ بماءِ الوردِ والتنهّداتِ
وبالجراحِ النافذةِ
باليشمكِ والفستانِ الجابونيزِ الأبيضِ
بالغلالاتِ الزرقاءِ
بالأماءِ التي لا تتجمّدُ
سأمشي خلفَ صورتكِ
كأنّني الملاكُ المناوبُ
كأنّني سوتيانكِ
كأنّني الحليبُ الممزوجُ بالماءِ
وسوفَ أصلُ إلى مدينتي

وشارعي
وبيتي
سوف أصلُ هكذا إلى سريري
وأنامُ مثل النبيذِ المعتّقِ
مثل النبيذ الحلو المعتّقِ
وإذا تأخرتْ الرؤيا
سأنظّفُ الشرفةَ
وأفتحُها
وأرتدي ثيابي اللمّاعةَ
ثيابي الّتي اشتريتُها
من أجلِ أنْ أخلعَها أمامكِ
وأحضنُ الهواءَ بغيرِ مبالاةٍ
أحضنُ الهواءَ
وأعترفُ
: يا أيُّها الهواءُ

يا أيّها النّهمُ
يا أيّها القدّيسُ
يا أيّها المتعفّفُ الفاجرُ
يا أيّها الشّرِهُ
أنا الذي سقطتُ من سريري
أنا الذي لم أجدْ الأرضَ
أنا الذي أصبحتُ أخافُ من القبلاتِ
أنا الذي أصبحتُ أخافُ من القبلاتِ
أنا الذي أصبحتُ أخافُ من القبلاتِ
أنا الذي كافأني اللّهُ
وختمَ قلبي بخاتمِ العهدِ
بخاتمِ اللاعودةِ
بخاتمِ الولايةِ
أنا الضّائعُ المفتونُ الفَرِحُ الممسوسُ الظّاهرُ
الباطنُ المالكُ المملوكُ الخ الخ الخ

اغسليني في فمك

لماذا تتركين جِلْدكِ مجعّداً هكذا
لا تقولي أنكِ يائسةٌ
اكْذبي عليَّ برفقٍ
اكْذبي باطمئنانٍ
داعبيني حتّى أصلَ إلى قاعِ هوّتِكِ
وإذ لم أصلْ إليها
داعبيني أكثرَ
ماذا حَدثَ للطيورِ التي
تنقرُ رأسَكِ في الصباحِ
هل تركتِ سقفَ رأسِكِ مفتوحاً
أم أنكِ بَردتِ وتغطّيتِ
ونمتِ على الجانبِ الآخرِ
فطارت كلّها
اهتمّي بعضَ الشيء باقتناءِ الحبوبِ والبذورِ
اهتمّي بعضَ الشيءِ بإلقائها في كلّ جانبٍ

ولا تتركي في عينيكِ مكاناً للأحلامِ
لا تتركي مكاناً للأحلامِ
لأنكِ لن تحلمي
ستتعذّبين فقط كلّما
زاركِ عشّاقُكِ السابقونَ
وألقوا في جوفكِ
باقاتِ أزهارٍ جافّةٍ
بعضُهم سيكونُ أكثرَ إلحاحاً على نفسِهِ
سيأتي وفي يديهِ باقاتُ غيومٍ
بعضُهم سيأتي عارياً
كأنّ الليلَ سرقَ منه ملابسَه
لماذا كلّما استرخيتِ
سقطتْ منكِ حروفُ جسمكِ
أمس فقط
كان حرفانِ يتعاركانِ قربَ الحلقِ

أمس فقط

قرّر الحرفُ الثالثُ الهجرَةَ إلى أسماء أخرى

أمس فقط

انتحرَ الحرفُ الرابعُ

وأصبحتِ بلا اسمٍ

أنا لا أعرفُ كيف أناديكِ

ربّما لا أريدُ أن أناديكِ

ومثل قنفذٍ تائهٍ

مثل قنفذٍ تائهٍ تقفينَ على بابِ صوتي

تنتظرين أنْ أعيدَ إليكِ حروفَ اسمكِ

لا أحدَ منها يريدُ أن يطيعني

يمكنني أنْ أدلّكِ على حشودِ المقابرِ

يمكنني أنْ أدلّكِ على شاهدِ الحرفِ الرابع

لا تنحكوني بذيئةً

لم أقصدْ أنه انتحرَ ودَفنَ ظلّه في رحمكِ

لقد انتحرَ بسببِ أنّه مجنونٌ جدّاً
بسببِ أنّه مسرورٌ بسرقةِ الأصواتِ
وأنّه ابنُ حرامٍ
وأنه ابنُ أرصفةٍ
أصبحتُ بقوّتهِ أخافُ على أعشابي
أصبحتُ أخافُ على الأشياءِ الأخرى
أصبحتُ أخافُ على أشياءٍ لا تخصُّكِ
هل يمكنُ لليلِ أنْ يقاطعَنا بسببكِ
هل يمكنُ للنهارِ
أنْ يتجمّدَ ولا ينصرف
هل يمكنُ للمطرِ أنْ يجفَّ
ماذا يحدثُ
إذا صحونا من النومِ ولم نجدْ شيئاً
وأصبحتِ أنتِ الملكةَ المتوّجةَ على الغابةِ الضائعةِ
هل سنخضعُ

هل ستُحني أكتافَنا
أم سنمشي في الجهاتِ كلّها
آملينَ أن نعيدَ إليكِ حروفَ جسمكِ
وحروفَ اسمكِ
كي تعودَ إلينا أشياؤنا
لماذا تتركين جلدكِ مجعّداً هكذا
أنتِ جميلةٌ بدون جِلْد
جميلةٌ بدون رئتين
أنتِ جميلةٌ بدونكِ
لا تقولي أنكِ يائسةٌ
حتّى لا نبكي وننتحرُ
اتركينا نستند على النّهرِ
اتركينا نعشْ قليلاً
ولو على الجانب الآخرِ من أنفاسِكِ
اتركينا نغسل حلوقَنا

ونصل إلى أغانينا الضائعةِ، وقد نبلغُها
ونعلّقُها من أذنابِها
في الشرفاتِ العاليةِ
في كلِّ الشرفاتِ العاليةِ
ونجري إلى الأمامِ دون غايةٍ
حتى نسقط ونموت.

فقط لو المعراج

ماذا تفعلُ إذا ارتقيتَ الجبلَ ذاتَ مساءٍ
ولم تجدْ فوقَه سماءً

لم تجدْ فوقَه سوى نجمتينِ تهربانِ
وثالثةٍ تراقبهما
أنصتْ إلى صوتِ الهروبِ
لعلّكَ تفطنُ إلى صوتِكَ

وتفطنُ إلى أصواتِ نسائِكَ الحالماتِ
المرأةُ التي كانت تجلسُ وحدها

عندَ سفحِ الجبلِ
التي نظرتْ إليكَ في أثناءِ صعودِكَ
التي أعطتكَ برتقالةً وعصا
التي قالت لكَ

: خذني معكَ في المرّةِ القادمة
المرأةُ هذه تجلسُ الآنَ عند سفحِ الجبلِ الآخرِ
تحلمُ أنْ يمرَّ أمامها ظلٌّ لا تعرفُه

تحلمُ
أنْ تخلعَ جونلتَها وغطاءَ شعرِها
وتستلقي على ظهرِها
كأنها خادمةٌ في معبدٍ
وإذا سألَها أحدُهم
: ماذا تحتَ إليتيكِ؟
قالت : الأناشيدُ
: وماذا فوقَ رأسِكِ؟
قالت : الأناشيدُ
وإذا سألَها أحدُهم
: لماذا لا ترقصينَ
قالت : أنتظرُ الراعي
ماذا تفعلُ إذا ارتقيتَ الجبلَ ذاتَ مساءٍ
ولم تجدْ فوقَه سماءً
ولم تجدْ فوقَهُ سوى هذهِ المرأةِ

بغيرِ جونلةٍ
وبغيرِ غطاءِ رأسٍ
لابُدَّ أنّكَ ستفكّرُ في امرأةٍ تشبهُها
امرأةٍ عَرفتَها ذاتَ زمنٍ سحيقٍ
كانت تكتبُ رسائلَها
بالرملِ
والحبرِ
وشظايا الزجاجِ
كانت في غرفتِها تضعُ البسمةَ
على وجهِها
وتخلعُهُ لمّا تخرجُ
لم تندمْ في حياتِكَ مثلَ ذلكَ الندمِ
الّذي لا يفارقُكَ
لأنّكَ زعمتَ لنفسِكَ أنّكَ فارسٌ نبيلٌ
وركبتَ حصاناً وهميّاً

وأمسكتُ بسيفِ وهمِّي
وقلتَ لها :

: كنتُ أتمنّىٰ أنْ أحبّكِ
لكنني أحبُّ نفسي
فنظرتْ إلىٰ عينيكَ ، وأطالت النظرَ
حتّىٰ إذا استسلمتْ ذاتَ ظهيرةٍ
وبلعتْ ريقَها
ورفعتْ غطاءَ بئرِها
وقالتْ لكَ

: اشربْ

فحاولتَ
لكنّ فمَكَ كانَ معتماً
قالتْ لكَ

: استخدمْ الدلوَ الذي تخفيهِ
فاستخرجتَه من مكانِهِ

لكنّه كانَ مثقوباً
نَظَرَتْ إلى عينيكَ وأطالتْ النظرَ
حتّى استسلَمتْ ذاتَ ظهيرةٍ
وانصَرفتْ
ماذا تفعلُ إذا ارتقيتَ الجبلَ ذاتَ مساءٍ
ولم تجدْ فوقَه سماءً
لم تجدْ فوقَه سوى آثارِ هذه المرأةِ
اليشملكِ
والرمل.
والحبر
وشظايا الزجاجِ
وصورةِ أبيها
على رجليهِ بعضُ كتبِ الأسلافِ
صفحةٌ من ربيعِ الأبرارِ
وصفحةٌ من نثرِ الدرِ

وفي حضنِهِ سيرةُ الملكِ الضِّلّيلِ
وفوق رأسِهِ علمٌ أحمرُ
مزدانٌ بمطرقةٍ وسندانٍ
وإذا سألتَها عن غيمةٍ بيضاءَ
كانت ملفوفةً في منديلٍ أحمر
ابتسمتْ وقالت : المعراجُ
المعراجُ

ضدَّ الحلمِ العادي

الطبيعةُ خائفةٌ من تسامحِها معنا
أنتِ لي
وأنا لكِ
كنتُ أكلِّمُ نفسي
وأسرقُ تاجاً من الجوعِ والعطشِ
الدائمينِ
وأدهنُ حنجرتي بالزيوتِ القديمةِ
أنزفُ أو أتعطَّرُ مثل الملوكِ
ولمّا أرى الليلَ أبعدَ من غمغماتِ كلبنا
أفتِّشُ عن جَسَدي
أتمدَّدُ
حتّى إذا جاءَني النّومُ
أحلمُ أحلامَ من لا يجيدُ الإقامةَ
أحلمُ أحلامَ موتي
وأحلامَ ديمومتي

أَلتقي عندما يبدأُ الحلمُ
بالآخرِ الآمرِ المتآمرِ ضدّي
الطّويلِ
الّذي ليس يُشْبِهُني ظلّه
فأسيرُ بنومي إلى آخرِ النومِ
لكنّه يتقرّبُ منّي :
أنا أنتَ
يلكزُني ثمّ يضحكُ :
أنتَ أنا
عندما نتصافحُ ، يضحكُ :
سوفَ معاً نستردُّ الخليقةَ
من خالقيها
أحارُ ، فيضحكُ :
سوف معاً نستردُّ المدائنَ
بابلُ قربَ حديقةِ طاغورَ

قرطبةُ الآن تسعى
وراءَ منازلَ غرناطةَ
الأرضُ سوداءُ
والأبجديّةُ أضيقُ من سقفِ بغدادَ
جدرانُ باريسَ مرفوعةٌ فوق مئذنةٍ
والخليفةُ يلبسُ خلخالَ زوجتِهِ
حينما فاجأتْهُ الجواريَ بالأغنياتِ
تنقّسَ مثل نوارسَ جائعةٍ
واكتفى بالوجومِ
الحسينُ بن فاطمةَ اشتاقَ للتمرِ
أصغى إلى صوتِ جارتِهِ البدويّةِ
: أين ستذهبُ ؟
أصغى إلى أختِهِ
ثمّ قالَ : إلى مدنِ الأوّلينَ
مدينةُ بيروتَ

تشبهُ أقراطَ زينبَ ذاتَ مساءٍ
وتشبهُ ذاتَ مساءٍ مدينةَ روما
مسلاتُ روما تحاولُ أنْ تتخلّصَ
من مدنِ اللهِ قاطبةً
ليس غيرُ الخيولِ التي أصلُها عربيٌّ
تمرُّ من الأزبكيّةِ
كي يتباهى الأتابكُ
والإنكشاريّةُ العابرونَ
وطائفةُ الخدمِ الشاخصينَ بأبصارِهم
في اتّجاهينِ
صوتَ الجميلةِ باشا
وصوتَ القراصنةِ
الأرضُ مازالَ فيها شتاءٌ وحيدٌ
شتاءانِ
مازالُ فيها الربيعُ

وبعضُ بقايا الخريفِ
وما زالت الريحُ خلفَ المخابئِ
هل هذهِ رعشةُ الشرقِ
أمْ هذهِ نارُ كسرى
شبابيكُ فارسَ تكشفُ عن فارسَ المستحمّةِ
تكشفُ عن شمسِ تبريزَ
تخلعُ جلبابَها كلَّ يومٍ
وليست تُخبّئُ سوأتَها بيديها الملوّثتين
سأرتاحُ
أذكرُ أسماءَ كلِّ اللواتي عَرَفتُ
أنا الآن حقلٌ كبيرٌ
وقلبي هو البرتقالةُ
أمنحُها
آخرَ الليلِ
واحدةً من أولئكَ

كنتُ أقسّمُ جسمي جسوماً
تكادُ تعادلُ أسماءَهنّ
وأُطلقُ شائعةً
أنّ داري العتيقةَ تنهارُ منذ سنين
وأنّ النّصوصَ المقدّسةَ المستقرّةَ
سوف أحوّلُها من رخامٍ وأعمدةٍ
ونباتاتِ ظلّ
إلى خشبٍ ميّتٍ
سوف أبعثُ فيه الحياةَ
وأصنعُ منهُ سفينةَ نوحٍ
وفي قيظِ يونيو سنبحرُ
"لا تنتظرْ أحداً" سأقول لقبطانِنا
ربما نتركُ الخمرَ في القبوِ
نتركُ بعضَ الهشاشةِ في باطنِ الروحِ
كنتُ أقولُ لهنّ

الهشاشةُ في باطنِ الروحِ
لكنّي منذ قُدِّرَ لي
أنْ أشمَّ روائحَ فاكهتي
أنْ أشمَّ الكهوفَ
الجذورَ
الجبالَ البعيدةَ
أنْ أتعرّى
وآكلَ قيثارتي
منذ قُدِّرَ لي
أنْ أنامَ على ضفّةِ النّهرِ
ثمَّ تعودُ إلىَّ جسومي الكثيرةُ باردةً
ثمَّ أُبصرُ تلكَ الجميلةَ
تحملُ مِخْلاتَها
وكما في الأساطيرِ
يتبعُها قارعو الطّبلِ

تتبعُها زرقةٌ
ورياحٌ
وماءٌ كثيرٌ
سترتجُّ مثلي
وتشهقُ
تهتفُ باسمي
وتسألني
: كيف تقضي لياليكَ في هذهِ الظلماتِ
متى البرتقالةُ تصبحُ واحدةً
ومتى جسمُكِ العذبُ
يصبحُ صَرْحاً
أريدُ إذا كنتَ تسمحُ لي
أنْ أقبّلَ جيدَكِ ها .. هاهنا
ثمَّ ها .. هاهناكَ
وأنْ أرتوي

أنْ تكونَ عصايَ التي سوف ترفعُها
وبقوّةِ آبائكَ الضائعينَ
تدرّبُني أنْ بها أستعيدُ زماني
الذي كانَ يُشبهُ صمتاً عريضاً
ويشبهُ ضوضاءَ أغنيةٍ
منذُ تلكَ الجميلةِ
أصبحتُ فرداً
تشبُّ وتندلعُ النارُ من رئتيهِ
ومن خصيتيهِ
سأرتاحُ
كنتُ أميلُ إلى ما لديَّ من الكلماتِ الغريبةِ
كنتُ أسمّي دمي باسمِ سيّدةٍ
تتحرّشُ بالحبّ
تفركُهُ بالهواءِ الثقيلِ
وتدعكُهُ في دهاليزِ إليتها

ترفرفُ
كنتُ أسمّيه باسمِ أصابعِها
حين ترسم أسيجةً
مثل جُمّيزةٍ لا تنامُ
ولا تتخلّى عن النومِ
لا تدّعي أرَقاً ناعمَ القدمينِ
ولا تمنعُ الناسَ عن غَشَيانِ المحارمِ
كنتُ أسمّي دمي باسمِ صيدا البعيدةِ عنّي
وباسمِ طرابلسَ
باسمِ شوليّتَ
حين تضمّ أصابعَها
ثمّ تفردُها
ثمّ ترسمُ ماءَ البحيرةِ
ترسمُ موعظةَ الجبلِ

الليلُ فوق المنازلِ

حفنةُ ريحٍ
صخورٌ من الألمونيوم
كانَ الملائكةُ الهادئون على السقفِ
مريمُ في المشربيّةِ
واللهُ كانَ هنالكَ
يُرشدُ أبناءَه
كيفَ يبنونَ كوخاً
وكيفَ يحيطونَهُ بالنخيلِ
سأرتاحُ
سوف أسمّي دمي
باسمِ تلك التي تستهيمُ وتسكنُ
تعتادُ صوتَ كلابِ الحراسةِ
صوتَ السحالي الجنادبِ
صوتَ اليعاسيبِ
صوتَ النّدى

وتربّي الفراشات في كوخ جدّتها
ثمّ تهرب
قبل رجوع الأيائل من رحلة الصّيد
ها أنذا راحلٌ في اتجاه بيوت العذارى
مع القبلات الّتي تتهدّدُها رغبتي
في اصطياد شفاهٍ
يكادُ الحنينُ يشفُّ بها ويطيرُ
إلى حيث لا أستعينُ
بغير أصابعَ
(صاحبتي المستريبةُ بي)
بينما الماءُ يجري
وسيّدةُ البيتِ ترسمُ أسيجةً
ونُواري بعيداً عيونَ العجوزِ الّتي
لم تزلْ تتطلّعُ نحوي
وترقبُ ما سوف أفعلُ

حتى إذا جاءَها الذوبانُ
تراءى لها أنَّ مالا يجوزُ له
أنْ يضيعَ
ستفقدُهُ
مثلما فقدتْ منذُ وقتٍ قليلٍ
أساورَ خطبتِها
قبل أنْ تتأكّدَ من لونِ أغنيتي
وروائح أطعمتي

هكذا

حيث جثةُ رامبو تعذّرَ أنْ يُدخلوها الخزانةَ
جثّةُ رامبو مزيجٌ من الشمسِ والتوتياءِ
وبعضِ البنفسجِ
جثّةُ رامبو تنامُ على الرفِّ
جثّةُ رامبو تهيمُ ولا تتعفّنُ
جثّةُ رامبو تحاولُ أنْ تتدحرجَ

دونه ضجيج
وتتبعُها جثّةُ الحسن بن عليّ
وخلفهما يترنّحُ عشتارُ
يلهثُ كالعائدين من الحربِ
مازالَ عشتار طفلاً بذيئاً
وغرفةُ ليلى المريضةِ
تسمحُ أنْ يتشاركَ فوق أسرّتها
المتعبون

ينامون إلّا ثلاثتهم
المقدّسُ رامبو
وعشتارُ
والحسنُ بن عليّ
ويستكملون حقائبَهم
وجوازات أسفارِهم
يرحلون

أَبي هوَ ذاكَ الّذي كانَ يدعولهم
ويحرّضُهم
: أيُّها الأشقياءُ
تعالوا إلى منزلي في البراري
رأيتُ أبي في خيامٍ
أُبيحَ لها
أنْ تكونَ على ساحلِ المتوسطِ
كانَ يفكّرُ فيما سيحدثُ
لو أنّ ثوبَ الملاكِ المرافقِ
ما عادَ يصلحُ للنومِ
ما عاد يصلحُ للظّنّ
والأمنياتِ
بأنّ الملاكَ جديرٌ
بصحبتنا
وبأنّ العذابَ

قبائلُ شتّى من الرقباءِ تطاردُنا
فنسيرُ ونشعرُ أنّا انصرفنا عن الوقتِ
كانَ أبي مثلَ فرعونَ مصرَ
ومثلَ المقطّمِ
عكازُه هو عكّاز جدّي
وخطواتُه هي أبطأُ من خطواتِ اليمامةِ
كان أبي غامضَ الشفتينِ
وكانت جيوشُ الفرنجةِ
أطولَ ممّا تشيرُ إليهِ أصابعُه
لم تكن مدنُ الشّامِ نائمةً
إنها الآستانةُ والبوسفورُ
الجنودُ القبارصةُ التصقوا
بالجنودِ المحبّين للغزوِ
والأختُ إليفُ نامت
على فخذِ شهوتِها

راودَتْ نفسَها في الذهابِ إلى مصر
بيتُ المعزِّ بدا فجأةً مثل قنديلِ بحرٍ
وكانَ خليجُ السويسِ
يحطُّ على جسْمِ أمّ البنينِ
فتُعطيهِ أحجيةً
ثمَّ تُعطيهِ منّاً وسلوى
تلفّتُّ حولي
تَلفّتَ كلُّ الحيارى
رأوا غيمةً فوقَ نهرٍ
فلم ينزلوا النّهرَ
لم يركبوا الغيمةَ
انطلقوا خلفَ أسوارِهم
كلُّ سورٍ يطيرُ إلى آخرِ الحدّ
عند التقاءِ النساءِ بأسرارِهنّ
استردَّ الحيارى نوافذَهم

واستعادوا مناعةَ أسوارِهم

رجعوا

فرجعتُ إلى ذكرياتِ أبي

كنتُ أعصرُ أخيلتي

ثمّ أعصرُ ليمونَ غزّةَ

فوقَ المياهِ التى غَسلوا جِلْدَها

كنتُ أعصرُ جِسْمي

فيخرجُ منه الصّراخُ

ويخرج منه الفحيحُ

ويخرجُ منه الصهيلُ المؤجّلُ

منذ تباطأتُ عن هَذَياني

وعن شهْوتي في الرّضاعةِ من حلمتيها

تُراها سترسمُ وجهي على ذيلِ فستانِها

أم سترسمُ فستانَها فوقَ وجهي

تذّكرتُ

كيف هما الحلمتانِ تغوصانِ في اللحمِ
كيف هما مثل شمسينِ محفورتينِ
ذهبتُ إلى بيتِ جيرانَ
لم أنتبهْ لملامحِهِ حين مرّ
رأيتُ الأرائكَ مثل أرائكِنا
والصّنوبرَ مثل الصّنوبرِ
والسّنديانةَ تشبهُ عكّازَ جدّي

الحديقةُ واسعةٌ
لم تكن أرضُها غيرَ رملِ المتاهةِ
لمّا رحلتُ
رأيتُ أصابعَ رجليَّ تسبقُني
فاصطدمتُ بنفسي

المرايا على الجانبينِ
وعينانِ غائمتانِ تسيرانِ خلفي
كأنّي أفتّشُ عن ورقٍ ضائعٍ

منذ أخبرتُ عاملةَ الاستراحةِ
بالنومِ وحدي
وأوردتي كالدخانِ
وشمسي معلّقةٌ في ذراعي
تجوّلتُ حول المكانِ
كأنّي أفتّشُ عن نفسي
عن شَهيقي
زَفيري
بُخَارِي
وعن كلماتي
استدرتُ
رأيتُ الّذي كنتُ أجهلُهُ
كانَ جبرانُ ينصحُني
: إن فقدتَ الكلامَ
تنازلْ عنْ الزهوِ

وأبدأُ نشيدَكَ

مِن سورةِ الفقدِ

لمّا فعلتُ

رأيتُ الظّلامَ يضمُّ حقيبتَهُ ويهمُّ
ومخطوطةَ العاشقينَ على الرفِّ
زيتٌ يُقالُ له الياسمينُ يفوحُ
رأيتُ المسيحَ يكلّمُ جبرانَ
في السرِّ

ثمّ يعاتبُهُ

والأناجيلُ في كلِّ ركنٍ
كأنّ يدَ اللهِ تفتحُها
وتباركُ ماليسَ فيها

جلستُ على المقعدِ الخوصِ
فوجئتُ أنّ على ركبتيَّ ملابسَ محبوبتي
والوشاحَ

وحمّالةَ الصّدرِ
كانَ الوشاحُ كما كانَ يومَ التقينا
وفوجئتُ أنَّ فمي يترجرجُ
من أغنياتٍ
إلىٰ أغنياتٍ
وقبلَ الوصولِ إلىٰ الأشرفيّةِ
قبلَ الوصولِ إلىٰ ساحلِ النورِ
قلت لصاحبتي
: هل لنا أنْ نعودَ إلىٰ بحربتين
فقالت : إلامَا ؟
: ضريحِ الغريبِ المعذّبِ
: ثمّ إلامَا ؟ (بصوتٍ خفيضٍ)
: إلىٰ حضنِ جدّتهِ
وانتبهتُ إلىٰ لونِ بشرتهِ
كانَ مثلَ مطاردةٍ لم تتمَّ

فقلتُ لها: هل لنا أنْ نطاردَ حلمَ سُكَينةَ
قبل الوصول إلى المسجدِ الأُمويِّ
رفعتُ يدي مثل ماسحِ دفءٍ
وباركتُ نفسي
وبعد قليلٍ تماديتُ في شهوتي
ورفعتُ يدي ووضعتُ الوشاحَ على رأسِها
لم تحرّكْ سوى شفتيها
ومعراجِ أشواقِها
كنتُ أرقبُها
فاستدقّتْ
ومالت كغصنٍ
فملتُ
وأخفيتُ حمّالةَ الصّدرِ
كانت دمشقُ كما لم يصفْها المحبّونَ
باباً يطلُّ على دَرَجٍ

حين تصعده

تجدُ اللهَ فوقكَ

لا تستطيع التماسكَ

رِجْلاكَ تلتمسانِ المعونةَ

لكنَّ رأسكَ يهدأُ لمّا تحطُّ يدُ اللهِ

تفتحُ عينيكَ مثل الحمامةِ

ليستْ أمامكَ من طرقٍ

غيرُ ذاكَ الطريقِ

المؤدّي إلى بيتِ أمّكَ

في بهوهِ نخلتانِ

وأشجارُ توتٍ

وفي الحجراتِ

قلائدُ بيضاءُ مثل صواحبِها

ويواقيتُ

في آخرِ الحجراتِ

الدارُ كبيرةٌ
سندخلُ فيهِ
ولمّا تمرُّ على بعلبكَ
ويثربَ
والقيروانِ
وشاطئِ دِجْلةَ
واللاذقيّةِ
لمّا تمرُّ على السيّداتِ ذواتِ المقاصيرِ
والسيّداتِ ذواتِ السرائرِ
والسيّداتِ اللّواتي
ستبدأُ في البحثِ عن كيفَ تخرجُ
أنتَ تريدُ الجلوسَ وحيداً على الأرضِ
أنتَ تريدُ الجلوسَ وحيداً
وإنْ كانَ لابدَّ للحلمِ أنْ يتجدّدَ
أنتَ تريدُ اجتيازَ المسافةِ

ما بين أمّكَ

وامرأةٍ مثل أمّكَ

تجلسُ تحت السّماءِ

وترسمُ بعضَ الطيورِ

وبعضَ الممرّاتِ

لمّا تشيرُ إليها بما يشبهُ الغيماتِ

تعاليْ

لنخلطَ ماءً بماءٍ

وروحاً بروحٍ

تعاليْ

لنأكلَ من جسدينا

فلا نحن نشبعُ حتّى نجوعَ

ولا نحن نحتاجُ إلّا إلينا

ولسنا اللذين سنملكُ

إلّا الذي صار يملكُنا

منذ بُحنا بهِ

أنتِ تحتي كانتِ جذري الذي أرتجيهِ
وفوقي كانتِ عائلتي كلّها

أنتِ لي
وأنا لكِ
لمّا تشيرُ عليها بما يشيهُ الغمغماتِ
تعاليْ
وتقتربانِ
وتغتربانِ
وتنصرفانِ وتختلفانِ
على آهةِ السرّ
اسمُكِ
اسمي

الجميلةُ مثل إناثِ النّخيلِ
ومثل قيامِ الهواءِ كظلٍّ على نهرِ بردى

جنائنُ باشلار
بابُ المعظّمِ أو باب توما

الصّعودُ إلى النجمِ
رعبُ أليفُ، مضاجعةُ في الحقولِ

الغريبةُ ذاتُ الخمائلِ
لـ سارق النّارِ والأوسمة..

لا تشيرُ عليها بمايشيهُ الغيماتِ
سترفعُ ياقتها
ثم ترنو إليك بمايشبهُ الغيمات

ELIF حكاية

ماذا يمكنُ أنْ نسرقَ من الماضي، ونخفظه على الطاولةِ البعيدةِ عن أيدينا، وأنْ نتصرّفَ فيهِ، إذا كانت جمجمةُ امرأةٍ وحيدةٍ لاتساوي الحرفَ الأوّلَ من لغةٍ تشبهُ لغتَنا، وإذا كانَ (هذا) الطريقُ هابطاً نحو سطحٍ خَشنٍ من سطوحِ المطرِ والبردِ والحرّ، هل لمّا كنّا في الشارعِ الذي أوّلُه مثلُ آخرِهِ مثلُ شارعِ الاستقلالِ أو شارعِ القبطانِ بارباروس، وفي التياترو حيثُ الوجوهُ تشتبهُ على الرائي، وفي الجامعِ الأزرقِ الّذي يهبطُ بنا إلى الجذورِ، ثمّ يفكّرُ أنْ يَصْعدَ إلى الهمزةِ الّتي فوقَ الألِفِ، يفكّرُ أنْ يصعدَ إلى رفيفِ الأجنحةِ، إلى حفيفِ الأُلفةِ والأُلّافِ، وفي آخِرِ النَّفَسِ الّذي استسلمَ أمامَ بابِ الجامعِ، ووصلَ في أثناءِ محوهِ للذكرياتِ إلى سوقِ أورتكاي وإلى ساحتِهِ ومقاهيهِ وبازاراتهِ ورائحةِ بيزنطةَ وأرمينيا

الغائرةِ في مسجدٍ، هل لمّا كنّا في الأماكنِ
كلِّها، التفَّ حولنا أصدقائي الأُمميّونَ كانوا
يسألون سوايَ ويسألونني عن اللّهِ، قلتُ: ألِفٌ
قائمةٌ مستقيمةٌ ليست مثلَ مسلّةٍ ولا مئذنةٍ
كما يظنُّ أولئكَ الكَهَنةُ، ألِفٌ لها حرّاسٌ ذوو
أجراسٍ من الهواءِ والبخارِ والأنفاسِ الحارّةِ، ألِفٌ
مثلما يقصدُ أحدُنا أنْ ينامَ فيرى في المنامِ
أنّهُ في سريرِ الملكةِ، وأنّ الملكةَ في الحمّامِ
تغتسلُ، وأنّ أرضيّةَ الحمّامِ محشوةٌ بأوراقِ
الخَشْخَاشِ، زعمَ البعضُ أنّها أوراقُ المشمشِ، وزعمَ
آخرون أنّها أوراقُ لوحاتٍ تشبهُ قشورَ الموزِ، وأنّ
حجراً ثقيلاً يمنعُ الحلمَ من الطفوِ، يمنعُهُ العودةَ
إلى عناصرِهِ الأولى، حيثُ ممرٌّ يؤدّي إلى، إلى
ثديينِ، يؤدّيان إلى سُرّةٍ، تؤدّي إلى الحصنِ
المعتمِ المحميِّ بأعشابٍ سوداءَ، تنصرفُ إلى ما تحتَ

مثلما يقصدُ أحدُنا أنْ ينامَ فيرى في المنامِ أنّهُ
بينَ ثمانيةٍ وعشرينَ حرفاً، وأنّه لابدَّ أنْ يلحسَها
جميعاً ويختارَ أحدَها، وأنّ أحدَها هو الهلاكُ
النائمُ، الهلاكُ المرجوُّ، وأنّه استبدَّ بهِ مقامُ
الألِفِ فاختارَهُ وضاعَ فيما ضاعَ، ونَجا فيما نَجا،
هل لمّا كنّا في الأماكنِ كلِّها، في آخِرِ النّفَسِ
الذي استسلمَ أمامَ صورتِهِ في المنامِ، التفَّ حولنا
أصدقائي الأميّون، كانوا يسألونني وحدي عنهما،
عن فرهاد وشيرين وعن أصلِ الأشياء، عن المعراجِ
والساقيةِ والحروفِ الهاربةِ، قلتُ: ألِفٌ في كلِّ
الأوضاعِ، ألِفٌ تضحكُ أو تتبرّجُ، ألِفٌ تُخفي
عينيها خلفَ فراغٍ مبثوثٍ أو تفضحُهما، ألِفٌ بابُ
قلعةٍ أو سورُ فردوسٍ، ألِفٌ قائمةٌ في عربةٍ مسرعةٍ
نحو البوسفورِ، أو في مترو الأنفاقِ القديمِ، ألِفٌ قبل
شراءِ صحيفةِ الراديكال، ألِفٌ في كلِّ الأوضاعِ،

ليست مثل جسدٍ غفلٍ أو جسدٍ متاحٍ، ماذا إذن يمكنُ أنْ نفعلَ في هذا العالمِ، إذا كنّا سنحملُ الحقائبَ أو نتركُها، إذا كنّا سنرحلُ دائماً إلى مكانٍ آخر، نعرفُ اسمَه أو نجهلُه، هل الآستانةَ هي استانبولُ، هل استانبولُ هي المدينةُ التي اسمُها مدينةُ أنْ تكونَ داخلَها، في الحكاياتِ الجديدةِ تخرجُ امرأةٌ من مدينةِ بورصا، النائمةِ على يسارِ الماءِ، تخرجُ امرأةٌ تعتقدُ أنّها هامةٌ وقامةٌ وروحٌ قرغيزيّةٌ ممتدّةٌ فوقَ جسدٍ قرغيزيٍّ ممتدٍّ، فوق ركبتين وفخذينِ وساقينِ وقدمين وفمٍ وأصابعَ ممتدّةٍ، حيثُ هنالكَ خيوطُ الذنوبِ وخيوطُ البراءةِ، الخيوطُ اللّواتي ينسدلُ نصفُها الأدنى في بنطلونِ الجينز الأزرقِ، ويرتفعُ نصفُها الأعلى داخلَ قماشٍ أحمر نصفِ شفّافٍ ذي ياقةٍ مفتوحةٍ كأنّها خليجٌ حلمتْ في كلِّ الليالي

التاليةِ أنْ أفردَ سمائي فوقَه، حلمتُ أنْ أتركَ طيورَ النورسِ التابعةَ لي كي تنقضَّ عليه وتنهشَه، الخيوطُ اللّواتي تجمعُ العناصرَ في صفةٍ يتتابعُ فيه اللّهُ وأصولُ الأشياءِ والآستانةُ والتركُ والديلمُ والأكرادُ والعلويّون والبشناكيّونَ والفرغيزيّونَ وأحدُ الداغستانيّينَ النائمينَ في النهرِ، ثمَّ تجمعُ الصفةَ في حرفٍ واحدٍ يظهرُ كأنّه الحرفُ الوحيدُ الّذي يسبقُنا فنسبقُه نحو الخلاصِ، أو نحو الهاويةِ، ماذا يمكنُ أنْ نفعلَ إذا أحببتُ المرأةَ وأنا ألهثُ، وفقدتُها وأنا ألهثُ، واعترفتُ أنني أحنُّ إليها وأنا ألهثُ، هل حقّاً سيصبحُ الحنينُ على مشارفِ الألفِ الليّنةِ، أمْ أنني سأتقدّمُ وأسعى إليها، وأسعى أمامها، وفي حيازتي قلبي الرجراجُ كأنّه اللامُ الغشومُ الّتي تحملُ حارساً خصوصيّاً يظنُّ كلَّ الظّنِّ

أنَّ اقترابَه من الألِفِ، أنَّ انحناءَه أمامَها وتحتَها،
أنَّ التصاقَهُ بها سيمنحُها حقَّ أنْ يكونا آلةَ
إقصاءٍ ونفيٍ ونهيٍ، آلةَ اللالالالا، المحمولةَ
على أكتافِ "روحي سو" و"زكي موران" و"فيروز"
، على أذرعةِ روحي سو وزكي موران، أنَّ التصاقَه
سيمنحُهما حقَّ أنْ يكونا آلة انتصابٍ ورهزٍ وإراقةٍ،
آلةُ اللالالالا المحمولة على غيمةِ الماضي والحاضرِ
والمستقبلِ، والتي عَرَفَها الشاعرُ قبلي، فوضعَها
على الأرضِ، كأنّها قامتْ وقاومتْ وأصبحتْ لن،
وأصبحت الرأسُ المقطوعَ، هل حقّاً سيصبحُ الحنينُ
على مشارفِ الألفِ الليّنةِ، أمْ أنّني سأنكسرُ
وأنسحبُ وأقِفُ وراءَها ثمَّ أقعدُ كأنّني الحرفُ
التالي عليها، كأنّني الباءُ التعيسةُ الباءُ التعيسةُ
الباءةُ التعيسةُ فنصبحُ معاً في جوارٍ مذمومٍ ما
وأصبحُ وحدي أباً شهوانيّاً محموماً، وتصبحُ وحدها

ريحاً هائمة في قبوي، أو تاجاً فوق رأسي الباقي
، عند هذا الحدّ ارتبكتُ فاتّبعتُ حكمةَ ناظم
ورسول حمزاتوف، وحكمةَ الأناضوليّاتِ الساحراتِ
اللواتي بينهنّ أمّي ELIF، حكمةَ أنْ أزيحَ عامداً
وجهَ الرسّامةِ الّذي أذلّني وأعزّني، وأن أرتكزَ
وأضعَ امبراطوريّتي وما أسّستُه من خرائبَ وممالكَ
ضائعةٍ في يدي اليمنى حيثُ أوقفتني سيّئاتي وَوَ
وَحَسَناتي هكذا في وادي النّسيانِ، ثمّ قالت لي
: خذْ كتابكَ بيمينكَ، آخذُهُ وأستريحُ ثمّ أدّعي
النومَ، علّ ثروتي تتسرّبُ فأصبحُ مثلَ الكوبِ الفارغِ
، أخشى فقط أنْ أظنّ نَفْسِي عالياً مرتفعَ الجبهةِ
لأنني قد أسقطُ، أخشى فقط أنْ تظلّ الألِفُ
رغم نحولِها ورقّتِها أكثرَ امتلاءً من اتساعِ
فوّهتي، أخشى فقط أنْ أُغلقَ نفسِي، أنْ هكذا
أغلقَ نفسِي، أنْ هكذا هكذا أغلقَ نَفْسِي

ثمّ أموتُ، أنّ هكذا هكذا ثمّ
أموت.

أَقَلُّ مِنْ أُغْنِيَةٍ

ارفعْ ذراعَكَ عن ذراعي
أيُّها الضلّيلُ
والملكُ القديمْ
لا تتّخذْ منّي صديقاً
لستُ أصلحُ أنْ أكونَ لكَ
المهرّجَ
والمسافرَ
والنديمْ
ارفعْ ذراعَكَ عن ذراعِ أخي
وأختي
عن ذراعِ حبيبتي
عن قبرِ أمّي
واستعدّ إذا رأيتَ فمي
يدمدمُ
أو يزومْ

مازلتُ أحلمُ
أنْ يكونَ دمي نظيفاً
أنْ تكونَ أصابعي بيضاءَ
أعماقي مقرّاً للهواءِ البكرِ
جسمي طائراً يقظاً كثيراً
أو كأنّ الريحَ تسكنُهُ
وتجري فيهِ
أحلمُ أنْ تعودَ براءتي
مازلتُ أحلمُ أنْ أرى
في طَرْفِ منديلي
فراشاتٍ تحومُ
ارفعْ ذراعَكَ عن ذراعِ مدينتي
فأنا الذي شاهدتُ غيمتَها
تطوفُ
أنا الّذي شاهدتُ في طرقاتِها

ناساً إذا يسعون
تسعى خلفهم كلُّ النجومِ
وبعضُ أنواعِ الهمومْ
هذا هو البيتُ الذي أُنزلتُ فيهِ
فلا تنززهُ
إذا أردتَ سلامتي
هذا هو الميدانُ
تلكَ الشّمسُ مازالتْ إذا نمنا تنامُ
كأنّها مملوكةٌ عذراءُ
ليس لها غريمْ
فانظرْ بعيداً عن أَشعّتِها
تذكّرْ خيمةَ الماضي
تذكّرْ ماتريدُ
عصا المعلّمِ
منزلَ النسّاءِ

صندوقَ العجائبِ
بابَ إنجيلِ المحبّةِ
قُبّةَ الميدانِ
تلكَ الشّمسُ
مازالتْ إذا قُمنا تقومْ
ارفعْ ذِراعَكَ عن ذراعِ الشّمسِ
فهي وديعتي
مازلتُ أوثرُ أنْ أراقبَها
أشمَّ لهيبَها
مازلتُ أوثرُ أنْ أراها
تستعيدُ ثيابَها
مازلتُ أوثرُ أنْ أرى ظلّي
الذي جاءتْ بهِ خلفي
يسابقُ خطوتي
مازلتُ أوثرُ أنْ تهيمَ معي

وأنْ معها أهيمْ
ياليتني أعطيتُ نفسي
للهوى العذريِّ
والعشقِ الرجيمْ
وبدوتُ مثل الصّاحبِ المهجورِ
وجهي ذابلٌ
وخطايَ نافذةٌ
أحاولُ أنْ أغضَّ الطرْفَ
أنْ أقتادَ عائلتي
وأنْ أنوي العكوفَ هناكَ
قربَ البئرِ
لكنّ التخومْ
ياليتني أعطيتُ نفسي
للنعيمِ وللجحيمْ
هو ذا أنا أخشى السماءَ بكلِّ أهبتِها

وأخشى أنْ يراني اللّهُ
مكتئباً حزيناً
أنْ يراني اللّهُ
أحملُ آلتي
من غيرِ أغنيةٍ
أغنّيها أمامَ خطيئتي
في أنْ أظلَّ العاشقَ المحمومَ
والخَصْمَ الحميمْ
هو ذا أنا أخشى الغيومْ
فارفعْ ذراعَكَ عن ذِراعي
أيُّها الضّليلُ
والملكُ القديمْ.

أحلمُ أكثرَ منْ عاشقٍ آخرٍ

لم يكن كافياً
أنْ أرى نورساً
بينَ حشدٍ من الطّائراتِ الغريبةِ
ثمَّ ببطءٍ يرفرفُ
يهبطُ
فوق الغموضِ المحيطِ بجوريّةِ البحرِ
يركلُها
ويرفرفُ ثانيةً
ثمَّ يهبطُ نحو البحيرةِ
تطردُهُ حاملاتُ الجرارِ
فيصعدُ مبتعداً
وأمامَ المدينةِ
يرتابُ
يخيطُ رجليهِ
ينزلهما فوق أسلاكِها

وينامُ
ويحلمُ أكثرَ منْ نورسٍ آخرٍ.

لم يكنْ كافياً
أنْ يكونَ السياجُ الّذي بين جسمي
وبين بقيّةِ أعضائِها
من زهورٍ طبيعيةٍ
كانت الأرضُ عند الحوافِّ القريبةِ
ملساءَ
صافيةً
وصدى الصّوتِ
يخرجُ من غابةِ الأرزِ
مثل جناحين
بينهما وترٌ هاربٌ
وعبيدٌ عفيّونَ

يستبدلون الضحيةَ بالقاتلِ
الحلمَ بالحلمِ
والبحرُ خلفَ النوافذِ يهتفُ
يهتزُّ بالبردِ
والموجُ يعلو
ويخفضُ أكتافَه
وتمالئهُ رغبةٌ
وقشعريرةٌ
وصدى الصوتِ يخرجُ من غابةِ الأرزِ
يخرجُ
والبحرُ مالَ ليسمعَ
مالَ ليغتابَ مستخدميهِ الأثيرينَ
فانتبهَ الناسُ
وانتزعوهُ
وساروا بهِ

- قبل أنْ يتدبّرَ أحوالَه

حارسُ البحرِ -

ثمّ أناموه

وانتشروا حولَه

آمنينَ

وغير مبالينَ

ينتظرون جفافَ سراويلِهم

ويظنّونَ أنّ الّذي سيكونْ

على عرشِ رومةَ...

لكنّهم فجأةً

عندما كانَ أطلسُ

كانت قواربُ صيدٍ

وكانَ رِبابنةٌ عاملونَ

ربابنةٌ لا يجيدونَ أعمالَهم

وينامون حتّى الظّهيرةِ

حيثُ على جانبِ النّهرِ
أشجارُ سروٍ، وتينٌ،
وجاموستانِ، وحطّابةٌ،
وأساورُ من ذهبٍ،
وتمائمُ غامضةٌ،
وأميراتُ آشورَ،
يجلبن قمحاً وعاجاً
ولحمَ طيورٍ مؤونةَ عامينِ
أدويةً ومراهمَ
ينثرنها في سواحلَ صيدونَ
ينثرنها في الجهاتِ التي تتقدّمُ منها
حرائرُ صورَ
ويلحقن حفلَ زفافِ العروسينِ
أطلسُ ينسلُّ بينهما
ويفاجئُهما

- أنتما تخلعان ثيابكما
تحلّلان
استمرّا
إنّي رأيتُكَ من قبلُ
ما اسمُكَ؟
- قلبُ إلهِ السماواتِ
- ما اسمُ العروسِ؟
- الفتاةُ التي
كانَ أربعةٌ من نسورِ الجبالِ
يقمن بخدمتِها.

لم يكن كافياً
أنْ أرى حافةَ الأرضِ
ترتجُّ ثمّ تفورُ
وتخرجُ منها المدينةُ عاريةً

وأصابعُها العشرُ
مشبوكةٌ في السماءِ
ولمّا تحاول أنْ تتحرّرَ
تسقطُ مثل دمٍ ناضجٍ
وبكلّ اللغاتِ الّتي أهملتْهَا
تغنّي

وترقصُ
حتّى تحنَّ إلى أفقٍ زائلٍ
فتنامُ مع البدوِ ذاتَ مساءٍ
وتطردُهم في الصباحِ الّذي سيليهِ
وتجلسُ،
تنتظرُ الفلكيّينَ
قد يستطيعونَ رؤيةَ طالعِها
الأميرُ بشيرُ
الأميرُ بشيرُ الشهابيُّ يعرفني

مُنذُ أبصرتُهُ في مقدّمةِ الفلكيّينَ
يرشُدُهم :
طارِدُوها
ولا تُدخِلوها الأساطيرَ ثانيةً
واغْسلوا صوتَها
من دخانِ المماليكِ
واقتربوا من نوافذِها
أمْهِلوها
ولا تيأسوا

وعلى الجسرِ
لم يبتسمْ أصدقائي الذين هناكَ
الّذين يقيمون خلفَ المنازلِ
خلفَ الحوانيتِ
بعضُهمو يطبخُ الطينَ
مستخدماً عِلْمَ أجدادِهِ الأوّلينَ

فإنْ أدركَتهم شواغلُ يوميّةٌ
استطاعُوا عليها
ولمْ يُهْملوا حرْفةَ اللّهِ
وانتظَرُوا
بعضُهم لا يخافُ من الموتِ
إلّا إذا انتصفَ الليلُ
دونَ ذِراعينِ جَائعتينِ
فماذا سأفعلُ
إنْ لم يعودوا إلى البحرِ
مثلَ الزّجاجِ النّظيفِ
وماذا سأفعلُ
إنْ فاجأتهم
حشودُ البواخرِ عاليةً
وعليها البناتُ الصّغيراتُ
يلبسنَ أحذيةً وتنانيرَ

والجندُ ينتشرونَ على السطحِ
والحرسُ الخاصُّ
ينتشرون أمامَ الكبائنِ
واللّيلُ يخجلُ
حين يفاجئُه رجلٌ في ثيابٍ
مُذَهَّبةٍ
- المقدّسُ فينيقُ -
وامرأةٌ جسمُها تتسرّبُ منه الغيومُ
- الجميلةُ عشتارُ -
خلفَهما
سومرُ وبنوهُ وأطفالُهم
بعدَها هدأت ضجّةٌ
ومضت أرجلُ الكائناتِ
تُنقّلُ خطواتِها
وتجرُّ من الأشرفيّةِ - لا أعرفُ الأشرفيّةَ -

ألويةً

وزنودَ رجالٍ أشدّاءَ

مالا يريدونَهُ يعبرونَ عليهِ

ويندفعونَ إلى شارعِ الروشةِ

البحرُ ليس بملآنَ

يندفعونَ إلى شارعِ البحرِ

هذا الهواءُ خفيفٌ

وتلكَ المنازلُ بيضاءُ

ماذا سأفعلُ

إنْ فاجأتهم قراصنةٌ

وعساكرُ غالبةٌ

وانكشاريّةٌ

ودماءٌ معتّقةٌ في خزائنِها

والنساءُ الوحيداتُ

والجيتاراتُ التي تترنّمُ

والموتُ يجلسُ قربَ جراحٍ
تنامُ بمفردِها في الحديقةِ
يجلسُ قربَ المسيحِ الّذي
سوفَ يحملُ فوقَ ذؤابتهِ
غيمتينِ
ومنفىً
وأغشيةً من ضبابٍ
يحلقُ في الكونِ
ثمَّ يعودُ
يمشّطُ شَعْرَ صديقتهِ
وشعورَ مريديهِ
يغمرُهم
وعلى مهلٍ
تتساقطُ من مقلتيهِ الدموعُ
فيمسكُ عكّازهُ

وَيسيرُ تجاهَ ضواحي الفراغِ
الذي لم يكنْ كافياً
أنْ أناولَه غيبتي
وطقوسَ معاشرتي
أنْ أناولَه سَمَكي
والرغيفَ
وكلَّ التوابلِ
والبرتقالَ
ورائحةَ الوردِ
أفقدُ عافيتي، وعشائي
فماذا سأفعلُ
كنتُ إذا جاءني الليلُ
دونَ نجومٍ على كتفيهِ
أدورُ
وأحملُ أمتعتي

وأصاحبُ ظلّي
ونمشي معاً خلفَ بعضِ الهواءِ المريضِ
وخلفَ السّحابةِ
حتّى تكفَّ عن المشي
نتركُها
ونصاحبُ أمثالَنا من رجالِ الطّبيعةِ
نغسلُ وجهَ المدينةِ
في بئرِها الأبديّةِ
ندعكُهُ بالحجارةِ
يلمعُ
ندعكُهُ بالهواءِ الّذي
كانَ يوماً شهيقَ العذارى المحبّاتِ
يلمعُ
نسألُ عن مالكِ المُلْكِ
ـ ماذا تريدونَ؟

- بيروتُ عاطلةٌ منذ عقدين
كانت تحاربُ

- أعرفُ

- سيّدَنا وأبانا الّذي في السماواتِ
نحن الّذين اعترفَنا بأخطائِنا
سنحاولُ أنْ نستعيدَ براءتَنا

ونحاولُ ، بيروتُ ، ...

(نسكتُ ، أو نتذكّرُ)
كانتْ حوائطُها مثلَ ليلٍ
وقرميدُها
يشبهُ الورقَ المائلَ الآنَ للاحمرارِ
وطينتُها عَرَقٌ جامدٌ
تتناسلُ فيه الضّفادعُ والنّملُ
والسقفُ أزرقُ
يعلوهُ نورٌ مُغطّى بهاويةٍ

وعلى الجسرِ
لم يستطعْ أحدٌ أنْ يمرَّ
جوارَ النساءِ الوحيداتِ
والجيتاراتُ التي
تنتقي من كتابِ الأناشيدِ
لحنَ القيامِ
ولحنَ الزيارةِ
والصّلواتُ اللّواتي تصاحبُها جوقةٌ
" عندما كانَ أطلسُ
ذاكَ الذي سيقاتلُ بين جبابرةٍ
سيقاتلُ بين صقورٍ وآلهةٍ
فاستحقَّ عقوبةَ زوسَ
بأنْ يحملَ المستطيلَ الرماديَّ
يحملَ رِدْفَ السّماءِ
على منكبيهِ

ولكنّهُ
عندما كانَ أطلسُ...
مرّت عليه الفتاةُ التي
تشبهُ الأقحوانةَ عند الصباحِ
وفي اللّيل تشبهُ بعضَ اللآلئِ
فقامَ وأوقفَهَا
وتأمّلَها
وتشمّمَ أنفاسَها
واكتفى
كانَ أطلسُ
يهتزّ مثلَ الهواءِ الذي فوقَ سطحِ المحيطِ
وكانت أصابعُهُ تترجحُ
وانزلقَ المستطيلُ قليلاً على منكبيهِ
ومنه تطايرَ بعضُ الترابِ
وحطّ على الأرضِ

هذا المكانُ سيصبحُ رَحْلةَ
حين يتمّ
"ستنهضُ بيروتُ فوقَ ذراعيهِ"
ماذا سأفعلُ ؟
كنتُ أفكّرُ أنْ أحبسَ الماءَ
أرفعَ في وجههِ السّوطَ
يبكي
وأن أتخلّصَ من ذكرياتِ الطّفولةِ
أتركُها تحتَ فستانِ عاشقةٍ
ثمّ أذهبُ
أنْ أتشبّثَ بالأغنياتِ التي في الصباحِ
تطلُّ على جبلٍ
والتي في الظّلامِ تضيءُ
وتخرجُ منها الأيائلُ
يخرجُ منها الندى وحدَهُ

وتلاحقه أحجيات

وأقبية تتنزّل منها العصافيرُ والماءُ

يخرجُ منها الرجالُ الأوائلُ

يتبعُهم عادةً أنبياءُ

وصوفيةٌ

ومناسكُ بائدةٌ

لم يكنْ كافياً

أنْ أرى اللّهَ

ثمّ أرى أصدقائي

أناديهمو واحداً واحداً

عندما كانَ أطلسَ

يعتادُ رائحتي

وهوائي

ويهمسُ في أذني

قد رأيتُك من قبلُ

ما اسمُكَ؟

منعم

ومن أصدقاؤك؟

(أسكتُ أو أتذكّرُ)

من أصدقاؤك؟

أسكتُ أو أستعينُ على وحشتي

وأناولُ تعويذتي

ثمّ أحلمُ أكثرَ من عاشقٍ آخرٍ

ليس كمثل الوحشة والنّاي المكْسُور

ها أنا ذا
كالماءِ الباردِ
كالإسفنجِ
وقفتُ أمامَ جهاتِ الأرضِ جميعاً
وتحايلتُ
فهبطتْ آونةٌ ومنازِلُ
هَبطَ الضّوءُ الآخَرُ
هَبطَ هواءٌ أسودُ وهواءٌ شفّافٌ
هبطَ الحمّالون بدائرةِ الجغرافيا
حَملوا جسْمي
فاستلقيتُ على طاولةِ سريري

وتحاليتُ
حلمتُ كأنّي في مكتبةِ المتحفِ
قُربَ شواطئَ مالا أعرفُهُ بالضّبطِ
أمامي رأسُ النبعِ

أمامي أعلى شارع فخر الدين
حلمت كأنّي في الأمكنةِ الأخرى
في عينيْ فاطمةَ
وفي الجُمّيزةِ، في شارع إدريس
وفي الحمراءِ، وفي الجامعةِ الأميركيّةِ
في الأوبرا
في أوّلِ هذا العامِ
وفي منتصفِ العامِ، وفي آخرهِ
في الطابقِ الثاني عشر
أمامَ البحرِ الشاخصِ نحوي
كنتُ أحاولُ أنْ أعتمدَ على ذاكرتي
أنْ أخترقَ حدودَ خيالي
هبطتْ منّي آونةٌ ومنازلُ وميادينُ
وهبطَ الضوءُ الآخرُ
هبطَ الحمّالونَ بدائرةِ الجغرافيا

رَفَعوا جسْمي عن طاولةِ سريري
فاسْتيقَظْتُ
رأيتُ زَفيري مثلَ ظلامٍ غُفْلٍ
يملأُ صَدْري
ثمَّ يطيرُ ويعلَقُ في شفتيَّ
ويغمرُني
ويحيطُ فمي
أَدْرَكَني الخوفُ على نابي
فَخَرَجْتُ إلى الطّرقاتِ
نَظرتُ إلى الفتياتِ المبهوراتِ
بنورٍ يَصعدُ منْ جوفِ الكورنيشِ
المبهوراتِ بأغصانٍ دانيةٍ
لا تمتدُّ ولا تفنى
فَغَضَضْتُ الطّرفَ
ولم أسْتَطِعْ العَزْفَ

نَظَرتُ إلى أشواقي
كانت بيضاءَ ونائمةً
ينشَعُ منها الصّيفُ ببعْضِ روائحِهِ
وشتاءُ العامِ القادمِ يكسوها بالبردِ
وكانَ اللّيلُ يُحذّرُها
أنْ تبقى مستلقيةً
بينَ شباطٍ
وأواخرآذار
وأنْ تتلصّصَ كالخطِّ المقلوبِ
وتحلمَ
وعلى جُرُفٍ هارٍ
تَنْزفُ مثل مياهِ الروحِ المُستخفيةِ وراءَ الجسرِ
نَظَرتُ إلى بابٍ مفتوحٍ عن آخرِهِ
ظلّ الرجلُ الخارجُ منهُ
يناديني : يا عَبْدُ

ذهبتُ فأعطاني قربانًا ومضى عنّي
بعد قليلٍ عادَ وأعطاني حَبلاً سُريًّا
أعطاني أشواقًا أعلى منْ أشواقي
أنزلَ حولي بعضَ هواءٍ
قالَ: ترنَّمْ
ضعْهُ على شفتيكَ
ولا تغترّ، ولا تهتاجْ، ابلغْهُ تمخّطْ
سوفَ يَصيرُ منازلَ آهلةً
وقصائدَ وأناشيدَ وحاميةً
أصغيتُ إليهِ
لمستُ أصابعَه، جبّتَه الصّوفَ، عصاهُ
لمستُ هواءَ يديهِ
ولم أستطعْ العزفَ
حملتُ النّايَ وعدتُ إلى بيتي
أيّامي كانتْ تزحفُ فوقي كالبرقاتِ

سقيفةُ بيتي تهبطُ حين أنام
وتكسوني بالعرقِ
وصوتُ الرجلِ الخارجِ يتبعُني: يا عَبْدُ
فإنْ قاومتُ يُطاردُني كي يطردَ عنّي الغفلة
يُغويني أنْ أحشدَ جسمي في هاويتي
أنْ أحرقَه
وإذا يصبحُ فحّ النّورِ، أعمّقُهُ
يُغويني أنْ أتأمّلَ فيهِ، وآملَ
فتأمّلتُ
رأيتُ ثياباً لا يلبسُها أحدٌ
وعصافيرَ تفرُّ بعيداً عنْ أشجارِ الخوخِ
وتسعى أنْ تصلَ الصحراءَ
رأيتُ فمي يحتاجُ إلى أغنيةٍ
ذاتَ مساءٍ مرقَتْ رُوحي منّي
طارت كالعصفورِ الأزرقِ

هامتْ، تاهتْ في الأودية
وصَعدتْ فوق الجبل، ونَزَلتْ
غَسلتْ رِجْليها في البحر
انسَابَ البحرُ ومالَ على جنبيهِ ولم تتبَعْهُ
وَغَسلَتْ في الصّحراءِ يديها
ومشَتْ نحو المدن
تباطأتِ الخطواتُ أمامَ مدينتِها المحمولة
فوقَ سواعدِ كلّ المدنِ الأخرى
وَقَفتْ تسألُ عنْ زاويةٍ تجلسُ فيها امرأةٌ
ترسمُ أحصنةً
وديوكاً
ونواقيس
ورحىً
ترسمُ ظلّاً للعصفورِ الأزرقِ
ذاتَ مساءٍ آخرَ

عادت روحي متعبةً عزلاءَ

المرأةُ في مرسمِها تعملُ

تصلُ الماضي بالمستقبلِ

والأزمنةُ تهرولُ منْ يدِها، تنهالُ

كأنَّ الحربَ هنالكَ تحبسُ كلَّ الناسِ

وتختطفُ الأزمنةَ

وتضعُ عليها خَتْمَ الموتِ

وتوصدُ باباً كانَ يطلُّ على أزمنةٍ سوفَ

تليها

لولا أنَّ الحربَ هنالكَ

تأكلُ شجرَ الأَرْزِ

وتدنو من زاويةٍ

تجلسُ فيها امرأةٌ

ترسمُ أحصنةً وديوكاً ونواقيسَ وريحاً

وسراديبَ وبعضَ نوافذَ

ترسمُ ماءً مجروفاً وهواءً بكراً
ترسمُ وحشاً مثلَ الضّبعِ
تكادُ امرأةٌ بيضاءُ ترّوّضهُ
ثمّ تهيمُ وراءَ غيومٍ ومسرّاتٍ
فاستودعتُ مياهي اللّزجةَ
واستنهضتُ مياهي المتمنّعةَ على غيرِ الفتياتِ
المحبوباتِ
وهمتُ كأنّي الرجلُ الأوّلُ فوقَ الأرضِ
خلعتُ حذائي
وخلعتُ الأحزانَ
نزلتُ إلى بهوٍ سرّيٍّ لا يدخلُهُ الناسُ
وخففتُ كثيراً ممّا في أحزاني من ضوضاءٍ
عدتُ إلى ما يشبهُ وجهي
وإلى وجهي
لكنْ لم أستطعْ السعيَ إلى قلبي

فكّرتُ قليلاً، لم أستطعْ الغبطةَ والإنصاتَ بغيرِ النّاي
حملتُ النايَ إلى شفتيَّ
عرفتُ وجودَ الحجرِ، عرفتُ الثلجَ الزّبدَ،
عرفتُ الملحمةَ

الأيامَ الأولى،
أطرافَ أصابعِها
فمَها
خاصرتيها
النورَ الصّاعدَ منْ بشرتِها مثلَ النّارِ
عرفتُ نشيدَ رجوعي من منفايَ إلى منفايَ
عَرَفتُ النومَ على الأرصفةِ
النومَ على جنبيَّ
النومَ كأنّي أخدودٌ
وسقوطَ الليلِ على الأشجارِ
الوقتَ الضّائعَ، والوقتَ المتروكَ على الجدرانِ

عَرَفتُ الخوفَ الناعمَ
كُنتُ أرى نفسي درويشاً يسعى خلفَ امرأةٍ
ترسمُ أحصنةً وديوكاً
كنت أرى نفسي درويشاً حقّاً
يجلسُ قُربَ نوافذِها
يشتملُ على أورادِ الصوفيّين
وأمنيّاتِ الحمقى
حين انتهت الحربُ
رأيتُ رياحي
تسعى قربَ نوافذِها ثانيةً
كي تتدرّبَ أنْ تنسابَ إليها
كنتُ أحاولُ أنْ أفترشَ سمائي فوق حديقتِها
أنْ أعبرَ نحو البهوِ
وأنْ ألتفَّ بلوحاتٍ ومناظرَ
أنْ تغشاني البهجةُ

أنْ أتلمّسَ سقفَ البيتِ وإفريزَ النّافذةِ
وأنْ أعتادَ على فَرَحي
لكنّ المرأةَ بعد قليلٍ وقَفتْ في النّافذةِ
رأتني ، أومتْ بأصابعِها العشرِ ، تدانتْ منّي
هاأنذا أحسستُ بأنّي مثلُ ملاكٍ أشيب
لم تتكلّمْ
لم تتساءلْ عن مزلاجِ الغرفةِ
كانت تضحكُ
قلبي صارَ بعيداً ، تضْحكُ
قلبي صارَ بعيداً جدّاً ، تضْحكُ
قلبي صارَ فضاءً رخواً ونبيّاً منبوذاً ، تضحكُ
قلبي ارتجفَ
اهتزّ النايُ
ترجرجَ مابينَ الشّفتين ، ارتجفَ
رأيتُ رياحي تنفدُ

والرّسامةُ مثلُ الضّيعةِ
مثلُ النبعِ
ومثلُ حدائق في آذارٍ
تضحكُ تضحكُ
أو تنصرفُ وتغلقُ كلَّ نوافذِها وتنامُ
وها أنذا ثانيةً أقفُ أمامَ جهاتِ الأرضِ جميعاً،
لا أتمايلُ
ليست تهبطُ آونةٌ ومنازلُ
ليس الضّوءُ الآخَرُ
ليس هواءٌ أسودُ وهواءٌ شفّافٌ
ليس الحمّالون بدائرةِ الجغرافيا
وحدي أقفُ
وخلفي بعضُ فراغٍ
يكبرُ حتّى يشملَ كلَّ جهاتِ الأرضِ
ويغنّي خلفَ حدودي المتراميةِ إلى أعلى

فأصيرُ كمثلِ الوحشةِ والنّاي المكسورِ
أصيرُ كمثلِ الماءِ الضّائع.
لا ينزفُهُ المالكُ والمملوكُ ولا يتجلّى عنه
ولا يستقبلُه ينبوعُ
خُذْنا يا أللهَ إلى التجربةِ ولا تحرمنا منها
نحن اثنانِ، ونحن الواحدُ والواحدةُ
ونحن الذّكرُ العالقُ باستخفاءِ الأنثى
والأنثى الطّمأنةُ لاستسلامِ الذّكرِ
ونحن الخيرُ
ونحن الشّرُّ
ونحن القوّةُ والجبروتُ
ونحن الضّعفُ
ونحن الرّقّةُ
نحنُ قطيعُ البشرِ
ونحن الاستثناءُ

ونحن الألِفُ ونحن الياءُ
ونحن بقايا ماضينا المنسيِّ وماضينا المذكورِ
ونحن أوائلُ مستقبلِنا الناحلِ كالعصفورِ
ونحن بُخارُ الماءِ الجاري
من أغوارِ التّيهِ
إلى أغوارِ التيهِ
ونحن الراعي الهائمُ في ساحةِ راعيهِ
امنحْنا يا أللّه البابَ الغائبَ من أبوابِ الجنّةِ
حيث الداخلُ فيهِ
يكونُ كمثلِ العائدِ نحوَ الأرضِ
يكونُ العائدَ نحو الأرضِ
وليس كمثلِ الوحشةِ والنّاي المكسورِ .

فاطمة

أمشي إلى الميناءْ
أمْشي إلى سُفُني
وأرى وَراءَ الماءْ
ما ضَاعَ من زمني
سَكَني هو الأسماءْ
والمنتهى بَدَني
ياحارسَ الأشياءْ
هيّئْ معي كَفَني

فاطمةُ امرأةٌ جلستْ تغسلُ ثوبَ ملاكِ
الموتِ، وعَرَفتْ بغريزتِها أنَّ الشّمسَ ستعجزُ
عن تجفيفِ الثوبِ، فنفختْ فيه هواءً حارّاً
ليس زفيراً، ليس سوى روحٍ ساخنةٍ، لمّا جفَّ
الثوبُ ابتسمتْ، جلستْ تَفْتِلُ أغنيّتها حتّى
جاءَ ملاكُ الموتِ، بإصبعها أمرَهُ أنّ انصرفَ
من الغرفةِ، والبسْ ثوبكَ، لمّا خَرَجَ ابتسمتْ،
جلستْ تسحبُ أغنيّتها، تسحبُ معها
الرّوحَ وما يتبقّى، فإذا فرغَتْ ممّا ترغبُ في رؤيتهِ،
سكتتْ أغنيّتُها، وانكمشتْ، وتولّت عنها الروحُ
وصارت أبردَ من جسدٍ ممدودٍ فوق حصيرٍ،
بعد قليلٍ دخلَ ملاكُ الموتِ، اقتربَ ليعملَ،
وَجَمَ، وأنزلَ يدَهُ، خَرَجَ على أطرافِ أصابعهِ،
كسرابٍ يسعى خلف سرابٍ آخرَ، أو كهواءٍ عاطلٍ.

أقبلتُ مثل الريحْ
أدبرتُ مثل اليَمّْ
في بابِها المفتوحْ
كانت تنامُ الأُمّْ
أَكْثرَ من التّلويحْ
وارشفْ رحيقَ الفَمّْ
ليسَ افتراقُ الرّوحْ
إلّا اشتياقَ الدّمّْ

وأمامَ البابِ المفتوحِ استلقت فاطمةُ، رأيتُ يديها ترتجفانِ، رأيتُ على عينيها نوراً لا أعرفُهُ، هِئتُ، اتخذت روحي متكأً، ولجأتُ إلى أغنيةِ شيخي الأكبرِ فاستلقيتُ، هدأتُ، نظرتُ إلى مرسايَ ورايتِهِ، أصغيتُ إلى صوتي يتداعى في الناحيةِ الأخرى، صرتُ بعيداً، كنتُ أنامُ ويعلو الصّوتُ، أنامُ ويعلو الصّوتُ، يدايَ كساريتين تصيرانِ، وحنجرتي مثل الموجِ تصيرُ، وروحي تُصْبحُ نورسةً بيضاءَ، وأمّي تظهرُ لي.

سَقفٌ بلا سِيقانْ
أرضٌ بغيرِ غطاءْ
شمسٌ بلا أغصانْ
قمرٌ بغيرِ سماءْ
ليلٌ هوَ السّجّانْ
روحٌ هيَ الإسْراءْ
ياسيّدَ الأكْوانْ
ماشئتَهُ سأشاءْ

لا تُخْبِرْ أَحداً بمكاني

بعدما تدخلينَ البيتَ
وتُقبّلُ العتبةُ والدّكّةُ قدميكِ
ويأتيكِ البستانيُّ بسلالِ التّمرِ على الدّوامِ
ويجعلُ مائدتَكِ نَضرةً كلَّ يومٍ
بعدما أتحسّسُ أنوثتَكِ
سوف نلتفُّ بجسمَيْنا
سوف نتبادلُ الرغبةَ والمعصيةَ
كمن ضاعَ ظلُّه في الجحيم
كمن استوى على العرش
كمن تركَ البوّابات السّبع
كمن دلّته البراءةُ على نفسِهِ
هاتي أيّتها الأيائلُ أحلامكِ
سأفرشها في خيمتي
هاتِ الليلَ أيُّها الأبُ الضّلّيلُ
هاتي اللّيلَ أيّتها النجمةُ المتّمنةُ

اربطي شياطينَ العاصفةِ في خلايايَ
وامنحيني البعضَ من أثمارِكِ
قد أمشي في الطرقاتِ وحيداً
قد أعودُ إلى منزلي
وأفعلُ مايفعلُه الأطهارُ البررةُ
قد أتذكّرُ مافعلتُه بالأمسِ
مافعلتُه قبل الأمسِ
مافعلتُه غداً
أنا المستبدُّ رغم ضعفي
المقهورُ رغم سطوتي
أنا المعزولةُ عنّي فرسي
المنفيُّ عن سفينتي
قد أنسى مافعلتُه بالأمس
مافعلتُه قبل الأمس
مافعلتُه غداً
. . . .

رسمتُ على الهواءِ يدي
تركتُ خطايَ خلفَ البابِ
أنزلتُ الصّدى فالتمّ فوقَ الأرضِ
كنتُ أريدُ أنْ أخلو بأصواتي
دخلتُ على ملوكِ الوقتِ
والنّفرِ الّذينَ هنالكَ
في الطرقاتِ
فيما يسبقُ الأمثالَ
في الغاباتِ
في قبوٍ
وفيما بينَ أيديهم
وفيما بينَ أعينِهِم
دخلتُ على ملوكِ الوقتِ
والنّفرِ الّذين هناك
يحتاجونَ بعضَ الخوفِ

كي يستنزلوا روحي عن الأسوارِ
تلكَ اللحظةَ،

البيضاءُ قالتْ لي:
تذوّقْ حِنطتي
وادخلْ سراديبي
ومدَّ يديكَ
كنتُ أريدُ أنْ أخلو بأصواتي
أرشّ الأرضَ بالنّارِ التي ابتدأتْ
وزيتِ السروِ
كنتُ أريدُ أنْ أبقى هنا في منزلِ الأرواحِ
أمسح في خلايا المكانَ
أصير مثلَ الريحِ، مثلَ الشّمسِ
أغسله
لمن يأتونَ من أجلي
وأنْ آكلَ

أنْ أشربَ
أنْ أفرحَ
كي يَصِلوا إلى قلبي

أنا المَلِكُ الوحيدُ هنا
أنا الفلّاحُ
عندي أقدَمُ الجعّةِ
عندي أقدَمُ الكونيالِ
عندي الخبزُ
عندي الجبنُ
عندي السدُّ والمحراثُ والقنواتُ
عندي مخزنُ الحنطةِ
عندي الجدولُ الجاري
وعندي ما أكادُ بهِ
أشبُّ إلى سماواتي

وأجلسُ خلفَ آلهتي
أصاحبُهم
وأبحثُ عن طيورِهمو
أراقبُها تحطُّ على حدودِ اليأسِ
تقطعُها
تبيعُ النورَ للآتينَ من أرضٍ بلا نخلٍ
عليها يجلسُ الثورُ العظيمُ الرأسِ
والظلماتُ
والعنزاتُ
والغاباتُ
والأمراءُ بين يديهِ
مرصوصونَ مثلَ الجيشِ
ينتظرُ الأوامرَ أنْ
إذا البوّابةُ انفتحتْ
إذا المزلاجُ

مرُّوا أيُّها العطشى
إذا الطاحونةُ الأرواح
مرُّوا أيُّها العطشى
يمرُّ الجيش من بهوِ القضاةِ السَّبع
حتَّى تصدرَ الأحكام
بعدئذٍ يسيرُ على طريقِ النهرِ
يعبرُهُ
إلى ليلٍ طويلٍ مثل جاريةٍ
ومثل حديقةِ الرهبانِ
مثل حياةِ كاهنةٍ
طيورُهمو تراودُني على العصيانِ
تسألُ أيُّها المأخوذُ
أين القصرُ والجمهورُ
أين فتاتُكَ البيضاءُ
أين مناسكُ الدّنيا

طيورُهمو
تفتّشُ عن وصايا الخوفِ في جسْمي
أنا الملكُ الوحيدُ هنا
وتخلو بي
تدسُّ الحُبَّ في دربي

كأنّي أطردُ الراعي
كأنّي أزرعُ الشّوفانَ في أرضي
كأنّ حبيبتي طلَبتْ
فإذْ بي أجلبُ الكتّانَ
هاهو ذا سأمْشطُهُ
كأنّي كنتُ أَمْشطُهُ
وأغزله كأنّي كنتُ أفعلُ ذالكْ
أبرمُهُ وأفتلُهُ
وسوفَ أحيكُهُ حتّى يصير ملاءةً بيضاءَ

أصبغُها
وهاهي ذي سأفرشُها
وأفرشُ فوقَها جسمَ التي جاءتْ
وكنتُ أخالُها شَـيعتْ
من الأشجارِ
من صفصافِها العالي
من الرّيحِ المحيطةِ بي
من الرّسغينِ
ممّا في عروقِ الصّدرِ
من عشبي وساريتي
ولمّا يستوي النورُ الّذي في القلبِ
نحتلّ السريرَ معاً
أنا الفلاّحُ
قولي لي : أنا العذراءُ
قولي لي : قرابيني هي الغزلانُ

ترعى خلفَ أسيجتي
وثديايَ هما الحقلانِ
أمشي فيهما وحدي
وأنسى مئزري المفتوحَ
أنسى شهوتي لمّا يطولُ اللّيلُ
أنسى الغيمَ
والماءَ الّذي يحْنُو على العطشانِ
يقْضي منهُ حاجاتٍ
ومن أجلي
سيجري خلفَ أفراسي
ويجري خلفَ أغنيتي
ومن أجلي
أنا الفلّاحُ
قولي لي : أنا العذراءُ
يا عطشان هل أُرْوِيتَ أمْ مازلتَ

خذْ ما شئتَ من خمري
وهيّا طفْ ورائي في جهاتِ الكونِ
واحملْ كيسكَ المثقوبَ....
أَحملُ كيسي المثقوبَ
أَحملُ رايتي البيضاءَ والأُخرى
وأمشي في اتّجاهِ الشرقِ
أحسبُ أنّ ساريتي، هنالكَ
وأنّ مجذافي
وأنّ سراب عائلتي
وأنّ السوطَ والمهمازَ
أنّ الجِلْدَ
أنّ مشيمةَ امرأتي
وأحسبُ أنّه شرقي الّذي دوماً أحاولُهُ
أميلُ إليه
أعبدُهُ وأفقدُهُ

كأنّي أطردُ الراعي
كأنّي أزرعُ الشوفانَ في أرضي
فأمشي في اتجاهِ الغربِ
أحسبُ أنه غربي

وبعد مسيرةِ الخمسينَ
ياذاتَ الخيالِ المارقِ المنهومِ
ياذاتَ الخيالِ الطّفلِ
يامن فَرْجُها يحتاجُ ثيراناً لتحرثَهُ
وياذاتَ المرايا السبعِ
ياذاتَ الصّبا المحمومِ
مَنْ ضاجعتِهِ الليلةَ
من في الرّدهةِ الأخرى
ومن في الطرفِ الآخرِ للبستانِ
هل يدُه الّتي ارتاحتْ على فرْجِكْ

هي اليمنى
هل اليسرى الّتي كانت تداعبُ شعرَكِ
المغسولَ

هل فمُهُ
وهل فمُكِ
وماذا بعدَ أنْ أشبعَ شهوتَه
ومالَ عليكِ
هل ناداكِ ياأختاهُ.. إنّي عائدٌ للقصْرِ
هل قاومتِهِ ودخلتِ تحتَ شجيرةِ التفّاحِ
هل أبرزتِ تلكَ التلّةَ المنفوخةَ
استرحنيتِ قائلةً
: تعالَ احرثْ إذن فَرْجي
بودّي أنْ أُريكِ الآنَ ماأُخفيهِ
بعدَ مسيرةِ الخمسينَ من عمري
أُفكّرُ أنْ أنالَ الشمسَ

أنْ أمشي مع المستقبلِ المسحورِ
أن أمشي مع الماضي
إلى أدنى الشّمالِ

هناك
حيث البحرُ مثل يدين ناعمتين
حيث الريحُ مثل الغيمِ
مثل التيهِ
أكنسُ من فمي الأفراحَ والأحزانَ
أستلقي على أرضٍ بلون الروحِ
أشعرُ أنَّ بعضَ الأرضِ ساخنةٌ
وأنّ حبيبتي قربي.

وها أنذا سأهربُ من قطيعِ الماعزِ الجبليِّ
ها أنذا سأطبخُ في المساءِ الأرُزَّ
قد أتلو على نفسي أناشيدي التي تبدأ بالحرمان

هاأنذا سألثمُها

وهاهي ذي ستلثمُني

كلانا واقفٌ كالنّارِ كالرؤيا

كأنّا مُبعدان الآنَ عن أحلامِنا الأولى

كلانا تحتَ خطوتِهِ

سهولٌ لم تزلْ تمتدُّ

قلنا سوفَ نعبرُها

جبالٌ لم تزلْ تعلو

فقلنا سوفَ نصعدُها

وصحراءُ محاذيةٌ لنا وتكادُ تطوينا

وقلنا سوفَ نطويها

كلانا ينزفُ الأيامَ

يستلقي على الكلماتِ

والأخشابِ

والأحجارِ

والنارِ التي تكسو جدارَ العالمِ
السفليّ
يعبرُ فوقها كالظلّ
من جنْبٍ إلى جنْبٍ
ومن ذنبٍ إلى ذنبٍ

كلانا يعرفُ الموتَ المقيمَ هنالك
قربَ الشطّ
نحن الجالسيْنِ معاً
على أبوابِ رغبتنا
وهذا الموتُ
ينظرُ نحونا
يعتادُ كالمتسوّلِ المهجورِ
ألّا يستعين بغيرِ إزميلٍ
وأغنيةٍ

كلانا يعلنُ استسلامَهُ اليوميَّ للنسيانِ
يعلنُ أنَّ الذاتِ تنجيُ
إذا بدأنا السعيَ
والتجهيزَ ضدّ الموتِ
واستخدامَ أسلحةِ المحبّةِ
واحتراقَ الجسمِ تحتَ الجسمِ
والإنصاتَ للرغباتِ
حتّى يبلغَ الجسمانِ
تلك اللآهةَ الكبرى
كلانا يعلنُ استسلامَهُ اليوميَّ للدنيا وللأخرى
وللصحوِ المفاجئِ
للسرابِ الغُفْلِ
للعصيانِ
للأحياءِ
للأشجارِ كاملةً

وللحرب:

هنا كانت أكاليلُ
ونجّارون
أسيجةٌ
مصلّىً
واستراحاتٌ
هنا كانت يداي على خطوطِ العمرِ
كان الصّمتُ يشبهُ منتهى الأيّامِ
كان الحارسُ المخصوصُ للأسماءِ
يمسحُ عن قوائمِهِ التراب
فتومضُ الأوراقُ
تومضُ مرّةً أخرى
لينزلَ من حواشيها
ملوكُ الوقتِ

وَالنَّفَرُ الَّذينَ إذا استفاقوا ذاتَ أزمنةٍ
وظنُّوا أنَّ ناموسَاً

ومقياساً من الأشواقِ
أنَّ الباهَ ظلَّ هناكَ قربَ الشطِّ
أنَّ الشمسَ قد تنسابُ
خلفَ حظيرةِ الأغنامِ
ظنُّوا هكذا فَرِحينَ
مربوطينَ من رجليهِما بالأرضِ
ظنُّوا أنَّ تاجَ السهلِ
أنَّ الماءَ مسكوبٌ على الراعي
ليعزفَ ما يريدُ النّايُ
يعزفُ نشوةَ المزمارِ
ظنُّوا أنّه سربي.

وجاءَ النّاسُ

دقّوا بابَ صومعتي
ولمّا كنتُ أخشاهم
عرفتهمو:
صحابي أو زبانيتي
سألتُ: إذن؟
ولمّا لم يجبْ أحدٌ
سألتُ: أيستطيعُ الحلمُ أن يمشي وراء خطايَ
أنْ يعثّرَ
أو يصفو
ولمّا لم يجبْ أحدٌ
سألتُ: أكلّكم آتونَ من تلقاءِ أنفسكم؟
تحاشوني
وظلّوا ينظرون إلى الّتي جلستْ على الكرسيِّ
قالوا: هذه البيضاءُ
تشدّ حول معصمِها السّوارَ

وعاودوا التحديقَ
قالوا : هذه البيضاءُ
شدّت صدرَها بالدّرعِ
شدّت عنفوانَ الجيدِ بالخرزاتِ
كنتُ أخافُ أنْ يستعذبوا فمَها
وأنْ يجتاحهم شوقُ لمسِّ دهانِ عينيها
وكنتُ أخافُ ألّا يتركوا ثوبي.

وبعد مسيرةِ اليومين
من بيتي إلى الأحراشِ
بعد مسيرةِ الأسبوعِ
بعد حزامِها المشدودِ حول الخصْرِ
بعد الخصْرِ
بعد خروجِ ثديِها من السوتيانِ
بعد متاهةِ السوتيانِ

بعد الجوعِ

بعدَ سواهما مائي وسقياها

وبعد اللونسِ المُلقى على الطرقاتِ

بعد مباهج البردي

وبعد الليلِ

بدّلَ صورتي صوتُ المسافةِ بين جسمينا

فصرتُ كما أراني الآنَ

رأسي صارَ رأسَ الماءِ

أعضائي كألويةٍ

وبيتي كالهواءِ الطلقِ

أمشي فيه أبعدَ ما يكون المشيُ عن شعبي.

وإنْ ضلّت بيَ القدمانِ

إنْ ضلّت بيَ القدمانِ

واستوحشتُ أغنيتي

عكفتُ على دمي أغويهِ
باسترجاعِ رجليها
وباسترجاعِ صوتِ حفيفِ رجليها
وبالشّعرِ الكثيفِ هناكَ
باسترجاعِ ملمسِهِ
وباسترجاعِ صوتِ الشّعرِ
حين أخوضُ ظلمتَه
وباسترجاعِ تلكَ البئرِ
باسترجاعِ أصواتِ العواءِ بها
عكفتُ على دمي أغويهِ
بالأشواقِ
عندئذٍ تسيرُ حبيبتي صوبي
. . . . . .

ماذا جرى لنا
ها نحن نجلسُ معاً على حافّةِ المخلوقاتِ

كمن جَلَسَ على جذعِ شجرة
كمن استسلمَ
كمن هو كالنبيذِ
كمن يداهُ البهو ورجلاه الكرسيّانِ
كمن سلّمني إلى العالمِ الأسفلِ بديلاً عنها
كمن قالوا له:

لا تأكلْ طحيناً مبثوثاً
ولا تشربْ ماءً ممسوساً
ولا تملأْ بالسعادةِ حجرَ زوجةٍ
ولا تُقبّلْ طفلاً شبّ على دلالٍ
أنتَ من حملَ السّمنَ إلى منزلِ أمّك
أنتَ من حملَ الحليبَ إلى البيتِ
لا تدعْ معدتَكَ الثّمينَ يغطّيه بعوضُ
المستنقعاتِ
لا تدعْ لازوردكَ الثمينَ يُكسَرُ على

حَجرٌ حَجّارٍ

ماذا جرى لملكةِ البلدانِ
تعاليْ أسمّي لكِ عشّاقكِ
تعاليْ أجلب لكِ الزيتَ والكساءَ
وأجعلكِ حزمةً من القصبِ
وأولّيكِ أميرةً على شجرةِ
التفاحِ

ماذا جرى لكاهنِ السماءِ
تعالَ خذْ التراتيلَ
خذْ التاجَ
خذْ البرقوقَ الطّالعَ

ماذا جرى لنا
هانحن نجلسُ معاً على حافّةِ المخلوقاتِ
كمن جلسَ على جذعِ شجرةٍ
كمن استهجنَ الطقوسَ والنواميسَ

لمن طافَ من أجلِ الحبِّ في بيوتِ
الآلهةِ
لمن صَاحَبَ الآباءَ المنسيين وناداهم
لمن ارتعشَ قربَ آخرِ غصنٍ
لمن استسلمَ
لمن هو كالنبيذِ
لمن يداه البهوُ ورِجْلاهُ الكرسيّان.

الحنين العاري

ما الّذي يحدثُ في الليلِ

ترابٌ ناعمٌ

يسكنُ في واجهةِ المشهدِ

وعناوينُ محطّاتٍ

ترفرفُ

تحتَ أقدامِ الرجالِ العابرينَ

وحده الّذي كانَ يظنُّ

أنّه سيتبعُ العاصفةَ

الّذي كانَ يظنُّ أنّ اللّيلَ حولَه

قد يتداعى

وحده يُولدُ في جفنيهِ

وقتٌ آفلٌ

وقتٌ بحاشيةٍ وأطرافٍ

وقُطعانِ كلابٍ

ودخانٍ مثقلٍ قد روّضته الريحُ

وقتَ آفلَ يرجُّه ثمّ ينامْ .

فِراشُ الرّجُلِ النّائم

ما الّذي يحدثُ في الليلِ
البناتُ المستعدّاتُ لنيلِ الحُبّ
يمشين بعيداً
والحذاءُ الأبيضُ المقلوبُ قربَ البابِ
يذوي
مثل تفّاحةِ آدمَ
وقليلون من الحمقى
يجيئونَ فرادى
وصديقٌ واحدٌ يلتفُّ بالضوءِ
ويحني جذعَهُ
ينتظرُ البنتَ الّتي يهتزُّ ردفاها

الّتي سروالُها
أضيقُ
من عينيه
يُحني جذعَهُ
ينتظرُ انفراطَ جسمِها
وبعد أنْ تحاولَ الغيابَ
تدخلُ الممشى
وتستولي على المشهدِ
تستولي على قنّينةِ الأحلامِ
تدلقُها
أمامَ الغرفةِ المغلقةِ الأخرى
ولمّا يُصبحان فارغيْنِ
يبدآنِ النومَ
تحتَ حائطٍ قديمٍ.

ما الّذي يحدثُ في اللّيلِ
دبيبُ الإبرِ النّاصعةِ البياضِ
واتّخاذُها هيأةَ فرسانٍ محاربينَ
واستجابةُ الماضي
لمرآةٍ
مقابلةٍ

لوقتٍ نائمٍ
كالظلّ فوقَ ذراعِ أنثى
كان شمّاسون يتلونَ الأناجيلَ
وأعوادُ ثقابٍ
أُطفئت منذُ قليلٍ
فاستعادت كلُّها رؤوسَها السّوداءَ
والسيّدةُ الّتي عظامُها اختفت
في ردهاتِ الجسمِ
مازالت تخافُ من سروالِها

وعندما ستهبطُ السلّمَ
لن نرى منه سوى الحافّةِ
بعد خطوتين تظهرُ النجومْ.

ما الذي يحدُثُ في الليلِ
هواءٌ ميّتٌ يسقطُ فوقَ الرفّ
أطفالٌ صغارٌ بمسخونة
وجرّةٌ مليئةٌ بالقشّ
يُفرغونها
في وسطِ الغرفةِ
جرّةٌ ثانيةٌ
ويُفرغونها
في الظلّ
داخلَ الممرّاتِ
على جذوعِ الشجرِ المقطوعِ

تحتَ أرجلِ الأكاليلِ
وتحتَ الريحِ
تحتَ أرْجلِ الدُّمى
وبعدَ أنْ ينتزعَ الأطفالُ مالديهمو
ويخرجوا
يحاولُ الهواءُ النائمُ القيامَ
لينوي في الركنِ
يدْعكُ الأفخاذَ والذراعينِ
يحاولُ استعادةَ الذاكرةِ
التي
في سعيها
تحوّلُ القشَّ إلى كلامٍ

ماالذي يحدثُ
فجأةً

فرشاةُ أسنانٍ على مائدةٍ
خوانُ مجذومينَ
كرسيّانِ
صوتُ حاملِ اللّوحاتِ
صوتُ حاملِ النّومِ
كأننا تحيطُنا بثُرٌ من الطبيعةِ الصّامتةِ
المنازلُ التي أمامها أسيجةٌ
وخلفَها
تصلحُ أنْ يكونَ لونُها مستوحشاً
ولاذعاً
والأسطحُ الفارّةُ خلفَ طرْفِ كلمةٍ
نوقفُها
ودون أنْ نيأسَ
نحملُ الأرضَ على رؤوسِنا
ونلتقي معاً

كهاربين
نسلكُ الوقتَ
ونسلكُ الأشياءَ
والطريقَ العامَّ.

الحيلةُ الوحيدةُ التي أعرفُها
أنْ أسدلَ الليلَ
على القاموسِ
بعد أنْ أنامَ

مرّةً
أختارُ أنْ أراقبَ الحروفَ في القاموسِ
كيف اكتنزتْ
وصار جسمُها أسودَ
كيف غضبتْ أصواتُها
تريدُ أنْ تنسلَّ خفيةً

تريد أن تنام فجأةً
على أصابعِ الظلامِ

الحيلةُ الوحيدةُ التي

كابوس

[إذا استطعتُ
سوف أسحبُ الموسيقى
إلى الإسطبلِ
وأعلّقها من أقدامِها الخلفيّةِ
وبمشقةٍ أحبسُها
ربّما أرى الحنينَ الضّائعَ
وسيولةَ الأعشابِ
ثمّ أراقبُ اللّيلَ

كيفَ سرقَ الإزميلَ

وخلعَ ملابسَه

ليشقَّ نفقاً

في عَرَقِ الحروفِ

العرقِ اللّزجِ

الّذي يسيلُ من الجهاتِ الخمس

وتسيلُ خلفَه

جيوشٌ من الأسمدةِ

والقصائدِ

والنّحاسِ

والحوانيتِ المفتوحةِ

والأمثالِ

وبعد أنْ تنتصبَ أمامها الأحجارُ

وتجهدَها

تستريحُ فوقَ صدرِ الرجلِ النائمِ

تنخرُهُ وندخلُ
تدفعُ الأحزانَ
والذكرياتِ
تدفعُ المرايا الجافّةَ
تكشطُ عن الأرضِ
ظلالَها المنخفضةَ
ثمَّ تضعُ الأريكةَ العاليةَ
وتجلسُ
في انتظارِ الملوكِ الثمانيةِ والعشرين
والشعراءِ المنوّمينَ
ورافعي الراياتِ
وصنّاعِ الأفلامِ
أنظرْ
ما الّذي يفعلُهُ
عصفورٌ وحيدٌ على الحائطِ

إنه يغنّي قبل أنْ يطيرَ
إلى الشجرةِ الّتي في خيالِهِ
وإذا تجاهلته الريحُ الحادّةُ
واستطاعَ أخيراً أنْ يصلَ
سيكتشفُ أنّ البيتَ في خيالِهِ
لم يكن فارغاً
كانَ مليئاً بالطعامِ
والقشِّ
والشريكِ الغامضِ

عند ذاكَ
سيحبسُ العصفورُ صوتَه
ويجفُّ
وينتفضُ كثيراً
قبل أنْ يسألَ نفسَه
ما الّذي يحدثُ

المرثيةُ الأولى للحرفِ الأوّلِ
كانت تشبهُ
النشيدَ في نوافذ الرسّامين
والّذي تتساقطُ منه الألوانُ
وتتكوّمُ
وأمامَ آخرِ قطرةٍ
يتصرّفُ الحنانُ كأنّه
جاريةٌ مطيعةٌ
وينامُ على حقيبتِهِ
نستطيعُ جميعاً أنْ نرويَ
كيفَ انفجرت الحقيبةُ
وخرجتْ منها الحروفُ الأخرى
ومشتْ في انتظامٍ
باتجاهِ المقبرةِ الجماعيّةِ
كانَ آخرُ الحروفِ

يمسكُ حجراً منحوتاً
من البازلتِ

وينحني
قبل أنْ يضعَ أصابعَه العشرةَ
تحت قدميهِ
ثمّ يتقدّمُ
وينسى متعمداً
أنه ترك أصابعَه على الأرضِ
تنتحبُ وتصرخُ
وتبحثُ عن يدينِ أُخريينِ
أصابعُهما مبتورةٌ
كي تلتصق بهما
تبحثُ عن قفّازٍ قطنيّ
متروكٍ على مائدةٍ
والمائدةُ محشوةٌ عليها

بعضُ شاي الصَّباح

وبعضُ الكرواسون

وبعضُ النومِ الفائضِ عن
الليلِ

وحول المائدةِ كرسيّانِ

ينتظرانِ رجوعَ الأبِ

ورجوعَ الأمِّ

وينتظرانِ الخادمَ

في آونةٍ أخرى

ينتظرانِ منازلَ جيرانِهما

تدنو من طرفِ الحلزونِ

العالقِ في النافذةِ

وبمجرّدِ أنْ تختفي الحروفُ

نستطيعُ جميعاً

أنْ نذهبَ إلى الإسطبلِ

ونفحة
ونسمع الموسيقى تبكي
فنحرّرها من قيودها]

ما الذي يحدث

كونشيرتو الرّغبة

ما الذي يحدث في الليل
الهواءُ كلّه
يصعدُ قربَ ياقة القميص
يضبطُ الفيونكةَ البيضاء
يضبطُ انتفاخَ الفم
واتساعه
ويلمسُ الذقنَ

ويلمسُ الأسنانَ
ثمَّ ينحني ويفسحُ الطّريقَ
كي تمرَّ منها الريحَ أولاً
وبعدها يمرُّ الوقتُ
بعده ينحدرُ الكلامُ.

ما الّذي يحدثُ
كانت المرأةُ في غلالةٍ
وكانَ خوفٌ نائمٌ
على ضِفافِ النهرِ
كانَ صوتُ نجّارينَ
يفصلونَ الشّجرَ البعيدَ
عن حبِّ ورهِ
وكان صيّادونَ
يُبلغونَ عن إناثِ طيرٍ

أنشدت نشيدَها الأوّلَ
واختفت وراءَهُ
وكانَ ملكٌ من الملوكِ الغابرينَ
يبدأُ الرحلةَ من زمانِهِ
إلى زمانِنا
وعندما ينامُ
تنزفُ الرحلةُ زيتَها السائلَ
في آنيةٍ
خصَّصَها المعاونونَ
واستغلّوها في عملِ الأحجيةِ
المعاونون كانوا يعرفونَ
أنَّ الملكَ النائمَ
عائدٌ إلى شبابِهِ
وكانَ كلُّ حارسٍ
يسيرُ خلفَ كلِّ حارسٍ

والّليلُ وحدَهُ
يسيرُ في المؤخرةْ

إلى هنا
تحاولُ الأوديةُ الّتي مشَت
وراءَ كلِّ عابرٍ
ولم تجد جذورَها
يحاولُ الموتُ الّذي ذراعُهُ موسومةٌ
يحاولُ النّسيانَ
أنْ يرتِّبَ الوقتَ
وأنْ يدسَّهُ في كُتبٍ
مرميّةٍ على الرفوفِ
امرأةٌ واحدةٌ تنفّضُ الغبارَ
امرأةٌ واحدةٌ
تقدرُ أنْ تضمَّ نصفيْ فمِها

وتِضْفي فرحها
وأنْ تتركني أمامَ حاجزِ الهواءِ
مثل قلعةٍ مهملةٍ
إلى هنا
أخافُ أنْ تنزَّ من ضلوعِها
رائحةُ الفراشِ .

غُرْفَةٌ للرّاهِبِ

لمعاويةَ الثّاني

جسرٌ

لا يشتاقُ لهُ الصبيانُ
ولا آنيةُ البيتِ
ولا تشتاقُ إليهِ النّسوةِ
محفوفٌ كالليلِ وكالأورادِ
بألواحٍ بيضاءَ
من الخشَبِ المبلولِ
وعذبٌ مثل فتاةٍ
خَرجَتْ من منزلِها حينَ الرغيفِ
وإذا هَبَطتْ ريحٌ
أو غاشيةٌ
فوقَ ذؤابتهِ
يرتجُّ
كأنَّ غراماً أعزلَ سوف يحطُّ على شفتيهِ ويسعى كالحلزونِ

وسوفَ يسيرُ وحيداً عبر الدربِ
هنالكَ
لا يكتشفُ النَّاسُ ظلالاً
تحمي ما يتبقّى منهم
ينسدلونَ على أسفلتٍ
ينسى قبلَ مواعيد النّسيانِ
ولا يذكرُهُ أحدٌ
ومعاويةُ الثّاني
مُنْشغلٌ
قدماهُ أصغرُ منْ مأوى قدميهِ
له قافيةٌ
يكفي أنْ يملأَها
بالصّوتِ المبحوحِ
فتورقُ فيها الأزهارُ البريّةُ
والشجرُ المرسومُ على عُلَبٍ

وكأنّ الصّوتَ يدحرجُ من رئتيهِ
عظامَ الموتى
تلقفُها الأحجارُ
تفتّتُها
فيصيرُ الكونُ شظايا كونٍ
ومعاويةُ الثّاني
يصبحُ مأنوساً
وضعيفاً
أعزلَ
يصبحُ شخصاً آخرَ
يصبحُ مثلي

الفهرست

منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢



كأنكِ الأرضُ التي يسيرُ فوقها الحمامْ
كأنكِ الظلامْ
كأنكِ الرياحُ
تمشي وحدها
من الوراءِ هكذا إلى الأمامْ
كأنكِ الملائكهْ
رأيتُ فمكِ المفتوحَ غابةً من الكلامْ
رأيتُ فوق فمكِ المفتوحِ نجمتينْ
رأيتُ غيمةً
تحطُّ فوقَ سقفِها المبلولِ غيمةْ
رأيتُ شجرَ الزيتونِ نائماً وراءَ السورِ
مثل الشجرِ القديمْ
رأيتُ قُبلتينْ

تصميم الغلاف: نجاح طاهر

ISBN# 9789772072774

١٠ جنيهات

6 221149 024557

الهيئة المصرية العامة للكتاب